دروس في التدبر

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾

الجزء السادس

تأليف

أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

شبكة الألوكة

www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء السَّادسُ من: (دُرُوسٌ فِي التَّدَبُرِ) أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله سببًا لتدبر كتابه، وذخرًا ليوم لقائه، وأن يجعله حجةً لنا لا علينا، إنه قريب مجيب.

قال ابن القيم رحمه الله: فَلَا شَيْء أَنْفَع للقلبِ من قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبرِ والتفكرِ؛ فَإِنَّهُ جَامع لجَمِيع منَازِل السائرين، وأحوال العاملين، ومقامات العارفين، وَهُوَ الَّذِي يُورث الْمحبَّة والشوق، وَالْخَوْف والرجاء، والانابة والتوكل، وَالرِّضَا والتفويض، وَالشُّكْر وَالصَّبْر، وَسَائِر الاحوال الَّتِي بهَا حَيَاة الْقلب وكماله، وَكَذَلِكَ يزْجر عَن جَمِيع الصِّفَات والافعال المذمومة وَالَّتِي بهَا فَسَاد الْقلب وهلاكه، فَلَو علم النَّاس مَا فِي قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر لاشتغلوا بهَا عَن كل مَا سواهَا، فَإِذا قَرَأَهُ بتفكر حَتَّى مر بِآيَة وَهُوَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فِي شِفَاء قلبه، كررها وَلَو مائَة مرّة وَلَو لَيْلَة، فقراءة آيَة بتفكر وتفهم خير من قِرَاءَة ختمة بِغَيْر تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى الى حُصُول الإيمان وذوق حلاوة الْقُرْآن، وَهَذِه كَانَت عَادَة السّلف يردد أحدهم الآية إلى

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصَّباح، وَقد ثَبت عَن النَّبِي أنه قَامَ بِآيَة يُرَدِّدهَا حَتَّى الصَّباح، وَهِي قَوْله: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، [الْمَائِدَة: ١١٨]، فقراءة الْقُرْآن بالتفكر هِيَ أصل صَلَاح الْقلب؛ وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ، كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، ولا يكنْ هَمُّ أَحَدِكُم آخِرَ السُّورَةِ».[1]

وينبغي على العاقل أن يجعل القرآنَ شُغْلَهُ الشَّاغِلَ، وأن تكون همته فهم مرادِ اللهِ تعالى من كلامه، وتدبر معانيه؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا هَذِهِ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، فَاشْغَلُوهَا بِالْقُرْآنِ وَلَا تَشْغَلُوهَا بِغَيْرِهِ.[2]

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَا خَيْرَ فِي قِرَاءَةٍ لَا تَدَبُّرَ مَعَهَا».[3]

سَعِيد بْن مُصْطَفَى دِيَابِ

الأسكندرية في: ٢٤ رجب/ ١٤٤٣هـ

الموافق: ٢٥/ ٢/ ٢٠٢٢م

١ – مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٨٧)

٢ – مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٦)

٣ – كتاب العلم لزهير بن حرب– حديث رقم: ١٤٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَنْ كان هذا حَالُهُ فأَهلٌ أَنْ يُتقى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[1]

تأمل الصلة بين الأمر بتقوى الله تعالى، وخلق الناس من نفس واحدة!

إيجاد الله تعالى لنا من العدم من أعظم نعم الله تعالى علينا؛ كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[2]

وخلق الله تعالى الخلق من أعظم دلائل قدرته، ومن أظهر براهين وحدانيته تعالى؛ لذلك ذم الله تعالى المشركين على عبادتهم ما لا يخلق وترك عبادة الخالق تبارك وتعالى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾.[3]

وخلق الله تعالى الخلق وتعهدهم بالرعاية من أعظم دلائل ربوبيته تعالى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا﴾.[4]

وخلق الله تعالى الخلق دليل علمه تبارك وتعالى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.[5]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١

٢ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٨

٣ – سُورَةُ النَّحْلِ: الآية/ ١٧

٤ – سُورَةُ الْفُرْقَانِ: الآية/ ٣

٥ – سُورَةُ الْمُلْكِ: الآية/ ١٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وخلق الله تعالى الخلق دليل غناه عن خلقه وافتقار الخلق جميعًا إليه؛ وكيف يُعبَدُ العاجزُ الفقيرُ ويترك الغني الحميد؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ (٢٠) أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾.[١]

ومن كان هذا حاله فأهل أن يتقى، وأهل أن يذكر، وأهل أن يشكر، وأهل أن يطاع ولا يعصى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلا تُصَدِّقُونَ﴾.[٢]

١ - سُورَةُ النَّحْلِ: الآية/ ٢١

٢ - سُورَةُ الْوَاقِعَةِ: الآية/ ٥٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ناهيك بمن قطعه الله وطرده من رحمته، وحرم عليه جنته

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[1]

تأمل كيف حذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى من قطيعةِ الأرحامِ في هذه الآية فقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ﴾، وتقدير الكلام وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَاتَّقُوا الأَرْحَامَ أن تقطعوها!

وسبب هذا التحذير ما للأرحام من منزلة عند الله تعالى، وما يترتب على قطيعتها من الفسادِ في الدنيا والدين.

فصلة الأرحام سببٌ للتراحم والمحبة بين الناس؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِي الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِي المالِ، مَنْسَأَةٌ فِي الأَثَرِ».[2]

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «تَعَلَّمُوا أَنْسَابَكُمْ، ثُمَّ صِلُوا أَرْحَامَكُمْ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَيَكُونُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ أَخِيهِ الشَّيْءُ، وَلَوْ يَعْلَمُ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ مِنْ دَاخِلَةِ الرَّحِمِ، لَأَوْزَعَهُ ذَلِكَ عَنِ انْتِهَاكِهِ».[3]

وصلة الرحم من أعظم أسباب رحمة الله تعالى؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الرَّحِمُ شِجْنَةٌ، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ».[4]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٨٨٦٨، والترمذي– أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي تَعْلِيمِ النَّسَبِ، حديث رقم: ١٩٧٩، بسند صحيح

٣ – رواه البخاري في الأدب المفرد– بَابُ تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ، حديث رقم: ٧٢، بسند حسن

٤ – رواه البخاري– كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابٌ: مَنْ وَصَلَ وَصَلَهُ اللهُ، حديث رقم: ٥٩٨٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقطيعة الأرحام من أعظم أسباب الهلاك في الدنيا والآخرة، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾.[١]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾.[٢]

وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا، وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا، بَتَتُّهُ».[٣]

وقطيعة الرحم سبب الحرمان من الجنة؛ فَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ».[٤]

وناهيك بمن قطعه الله وطرده من رحمته، وحرم عليه جنته.

أعلمت لِمَّ حذَّرَ اللهُ من قطيعة الرحم؟

---

١ – سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآية/ ٢٢، ٢٣

٢ – سُورَةُ الرَّعْدِ: الآية/ ٢٥

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٦٨١، وأبو داود– كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابٌ فِي صِلَةِ الرَّحِمِ، حديث رقم: ١٦٩٤، والترمذي– أَبْوَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَطِيعَةِ الرَّحِمِ، حديث رقم: ١٩٠٧، والحاكم– كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ، حديث رقم: ٧٢٦٨، وابن حبان– كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَقَطْعِهَا، حديث رقم: ٤٤٣، بسند صحيح

٤ – رواه البخاري– كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ إِثْمِ الْقَاطِعِ، حديث رقم: ٥٩٨٤، ومسلم– كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، حديث رقم: ٢٥٥٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التدابير الإلهية لحفظ أموال اليتامى من الضياع

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾.[1]

تأمل رعاية الله تعالى لحقوق اليتامى، وهم الذين مات أبوهم وعَهِدَ بهم إلى واحدٍ من النَّاسِ يقومُ على حفظِ أموالهم ورعاية شؤونهم، وليس عليه رقيب ولا حسيب إلا الله!

وقد أمر الله تعالى أولياءَ اليتامى بأمورٍ ثلاثةٍ استقصى فيها أسبابَ الحفظِ، كلها تدابير لحفظ أموال اليتامى من الضياع.

الأول: حفظ أموال اليتامي عليهم، حتى لا تأكله الصدقة، ولا يفني بالنفقة، فالمراد بقوله تَعَالَى: ﴿وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ﴾، يعني: التي تركها لهم أبوهم، ولا يكون ذلك إلا بتثميرها وتنميتها؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾، [النِّسَاءِ: ٥]، ولم يقل: (وَارْزُقُوهُمْ منهَا).

والثاني: تركُ استبدالِ الدُونِ بالأعلى، والْخَبِيثِ بِالطَّيِّبِ مِنْ أموالِهم، فإن ولي اليتيم قد تزين له نفسه أنه أولى بذلك الطيب من اليتيم، لما يبذله من جهدٍ في رعايته، والقيام على شؤونه، أو يتوهم أن اليتيم قد يتلف هذا المال وهو أولى به من غيره؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ﴾.

والثالث: أن يظن ولي اليتيم أنه لا فرق بينه وبين اليتيم لما بينهما من وشائج القربى، فيضم ماله إلى ماله بدعوى أنه أقدر منه على تصريف شؤونه وإدارة المال حتى بعد بلوغه الرشد، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾. أي: لَا تَأْكُلُوهَا بِأَنْ تَضُمُّوهَا إِلَى أَمْوَالِكُمْ.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢

ثم تأمل كيف ذيل الله الآية بقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾، أي: مهما التمستم لأنفسكم من المعاذير فهو ذنبٌ عظيم.

ثم تأمل العلة التي من أجلها سماه الله تعالى (حُوبًا) ولم يسمه إثمًا أو ذنبًا!

والعلة هي أن الحوبَ هو ما زجر الله تعالى عنه، فذكر هذا الاسم يتضمن الوعيد على أكل مال اليتامى، ويتضمن وعيدًا زائدًا على مخالفة هذا الذي زجر الله تعالى عنه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إيقاظ عاطفة الرجل واستثارة الرحمة في قلبه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى﴾! ولم ورد التعبير هنا بالخوف؟

فليس المراد أن من تيقن وقوع الظلم منه إذا تزوج اليتيمة، إنما المراد أن مجرد توقع الظلم لتلك البنت التي كانت يتيمة يوجب الإعراض عنها والبحث عن غيرها، حتى لا يجمع عليها قهر الظلم، وألم الحرمان الذي سببه لها اليتم.

ثم تأمل العلة من التعبير بلفظ القسط دون العدل!

لم يذكر الله تعالى العدل هنا لأن العدل قد يكون ظاهرًا وقد يكون خفيًّا، والقسط لا يكون قسطًا إلا إذا كان بيّنًا ظاهرًا، فإن القسط هو العدل البيّنُ.

فلم يرض الله تعالى في معاملة تلك البنت إلا بالعدل الظاهرِ، الذي لا يحتاج إلى إعمال فكر أو تأمل؛ لأنه سيقسم بينها وبين ضرائرها، فلها نصيب مقدرٌ، وحظٌ معلومٌ لا يتحقق القسط إلا باستيفائه.

ثم تأمل العلة في وصف تلك البنت التي بلغت مبلغ النساء باليتيمة، مع قول رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ»![2]

والعلة في ذلك إيقاظ عاطفة الرجل عليها، واستثارة الرحمة في قلبه؛ فإنَّ ظلم اليتيمة ليس كظلم غيرها.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣

٢ – رواه أبو داود– كِتَاب الْوَصَايَا، بَابُ مَا جَاءَ مَتَى يَنْقَطِعُ الْيُتْمُ، حديث رقم: ٢٨٧٣، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذلك أقربُ للعدلِ والإنصافِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ أَدْنَى أَلا تَعُولُوا﴾، ومعناه: ذَلِكَ أَقربُ لَا تَجُورُوا.

وإياك أن تتوهم أن الله تعالى يأمر في كتابه، أو على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بعدمِ الزواجِ، أو تركِ الإنجابِ خشيةَ الفقرِ!

وإنما معنى الآية: ذلك أقربُ للعدلِ والإنصافِ، وأبعدُ عن الجورِ والإجحافِ.

وكيف يأمر بذلك وقد تكفل بأرزاق الخلائق جميعًا؛ فقال: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾.[2]

وكيف يأمرنا الله تعالى وهو ما أراد منا أن نرزق أنفسنا فضلًا عن أن نرزق غيرنا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾.[3]

بل وذم الله تعالى أبلغ ذمّ أولئك الذين يقتلون أولادهم خشية الفقر، وحذرهم أشدَّ التحذير فقال: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا﴾.[4]

وأخبر تعالى أن الذي يُخَوِّفُهُمُ الْفَقْرَ، هو الشَّيْطَانُ، فقال: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[5]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣

٢ – سورةُ هُودٍ: الآية/ ٦

٣ – سُورةُ الذَّارِيَاتِ: الآية/ ٥٦– ٥٨

٤ – سُورةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٣١

٥ – سُورةُ البَقَرَةِ: الآية/ ٢٦٨

أما اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالَى، فَاللَّهُ ﴿يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.[1]

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الْأُمَمَ».[2]

١ – سُورةُ البَقَرَةِ: الآية/ ٢٦٨

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٢٦١٣، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، ورواه أبو داود– كِتَاب النِّكَاحِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ تَزْوِيجِ مَنْ لَمْ يَلِدْ مِنَ النِّسَاءِ، حديث رقم: ٢٠٥٠، والحاكم– كِتَابُ النِّكَاحِ، حديث رقم: ٢٦٨٥، عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَرَائِنُ طِيبِ النَّفْسِ وَرِضَاهَا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَآتُوا النِّسَاءَ صَدُقَاتِهِنَّ نِحْلَةً فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾!

ليست العلة في إباحة شيءٍ من المهر للرجل إذن المرأة، إنما علة الإباحة الرضى وأن تكون نفسها طيبة ذلك.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا﴾، وطيب النفس ورضاها له قرائن منها:

أن تبدي رغبتها للزوج بالتنازل عن شيءٍ من المهر.

والفرح بقبول الزوج منها.

والمبادرة بالموافقة عند سؤال الزوج شيئًا من المهر.

وقد يسأل الرجل امرأته أن تتنازل له عن شيءٍ من المهرِ فتأذن له الزوجة إذنًا يستشعر منه عدم رضاها، فلا يحل له أخذ شيءٍ من مهرها، فإذا أخذه فقد أكل سحتًا.

قالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحِلُّ مَالُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِلَّا بِطِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ».[2]

ثم تأملْ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾، وأنَّ ذلك مشروطٌ برضاها وطيبِ نفسِهَا، حتى عَدَّهُ بعضُ الصحابةِ علاجًا؛ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِذَا اشْتَكَى أَحَدُكُمْ شَيْئًا، فَلْيسأل امْرَأَتَهُ ثَلَاثَةَ دَرَاهِمَ أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ، فَلْيَبْتَعْ بِهَا عَسَلًا ثُمَّ لِيَأْخُذْ مَاءَ السَّمَاءِ فَيَجْتَمِعُ هَنِيئًا مَرِيئًا شِفَاءً مُبَارَكًا.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٠٦٩٥، وأبو يعلى– حديث رقم: ١٥٧٠، والبيهقي في السنن الكبرى– كِتَابُ الْغَصْبِ، بَابُ مَنْ غَصَبَ لَوْحًا فَأَدْخَلَهُ فِي سَفِينَةٍ أَوْ بَنَى عَلَيْهِ جِدَارًا، حديث رقم: ١١٥٤٥، عَنْ أَبِي حُرَّةَ الرَّقَاشِيِّ، عَنْ عَمِّهِ، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يحملنَّكَ الضَّجرُ من اليتيمِ، على التَّخلي عن الأمانة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.[1]

تأملْ قولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾، وكيف نسب المال للمخاطبينَ مَعَ قَولِ العُلَمَاءِ: المرادُ بالسُّفَهَاءِ هنا: الْيَتَامَى!

لما كان الولي مؤتمنًا على مالِ اليتيم الذي عنده، أمره الله تعالى بالحرص على ماله والمحافظة عليه، كما يحرص على ماله هو ويحافظ عليه، ومن حرصه على ذلك المال المؤتمن عليه أَلَّا يُمَكِّنَ منه الصَّغيرَ حَالَ صِغَرِهِ، ولَا ضَعِيفَ العَقْلِ حَالَ ضَعْفِهِ؛ لأنَّهُ سيؤولُ إلى الضياعِ.

ونَسَبَ اللَّهُ تَعَالَى المالَ للأوصياءِ تأكيدًا على تلك الأمانة التي تحملوها، وترغيبًا لهم في الحفظ له، حفظَ المرءِ لماله.

ثم ذَكَّرَهُم بقيمةِ الأموالِ ومَدَى حاجةِ النَّاسِ إليها، فكما لا تقوم حياتكم بغيرِ المالِ، فلا قَوامَ لهؤلاءِ اليتامى بغيرِ أموالهم.

وفي الكلام غاية جليلة لا تدرك إلا بطولِ تأملٍ، وإعمالِ فكرٍ وروية، وهي أن بعض الأوصياء قد يصيبه الضجرُ من تصرفاتٍ من تحت يدهِ من اليتامى فيحمله الضجرُ إلى دفع المال لذلك اليتيم ليتخلص من عهدته، ويُبرِئ منه سَاحَتَهُ، فجاء الأمر لبيانِ أنَّ هذا المال الذي تحت يدك، من ضمانك وفي عهدتك، ليس لليتيم فيه تصرفٌ حال سفهه، فإذا دفعته إليه والحال هكذا فأنت مضيع له ومفرط فيه.

فلا يحملنَّكَ الضَّجرُ من اليتيمِ، والسَّخطُ من سوءِ فعلِهِ، على التَّخلي عن الأمانة التي تحملتها وهي حفظ ماله إلى أن يبلغَ رُشْدَهُ.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هل رأيت كالإسلام في كمال تشريعه؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.[1]

تأملْ لم قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾، ولم يقل: (وَارْزُقُوهُمْ منهَا)؟

فقد ضمن الفعل: (رزق) معنى: (اتجر)، فيكون تقدير الكلام: واتجروا لهم فيها.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا﴾؛ ليتاجروا لهم فيها ويتربحوا منها، فتكون نفقتهم وكسوتهم من الأرباح لا من صلب المال فلا يأكلها الإنفاق.

لما أوجب الله تعالى على ولي اليتم حفظَ مالهِ، ونسبه الله تعالى للولي ليبالغ في حفظه.

ولما كان مجرد حفظ المال بلا تنمية يؤدي إلى أن تأكله الصدقة، ويذهب مع الوقت بسبب النفقة على اليتيم، أوجب الله على الولي تثميره وتنميته فإذا أنفق على اليتيم أنفق من ربح ذلك المال، وإذا كساه لا يكون ذلك من أصل المال، قال تعالى: ﴿وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ﴾، ولو قال: (وَارْزُقُوهُمْ منهَا)، لنفد المال وفني قبل أن يشب الصغير عن الطوق، وقبل أن يبلغ مبلغ الرجال، فينشأ فقيرًا معدمًا، وقد تركه أبوه غنيًّا لا يحتاج لأحد.

روى الشافعي في مسنده عَنْ عَمْرِو بْنِ دِينَارٍ، أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ابْتَغُوا فِي أَمْوَالِ الْيَتَامَى، لَا تَسْتَهْلِكْهَا الزَّكَاةُ».[2]

هذه عناية الإسلام باليتيم، وتلك رحمة الله بالضعفاء.

فهل رأيت كالإسلام في كمال تشريعه؟

وهل رأيت رحمة كرحمة الله بعباده؟

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥

٢ - رواه الشافعي في مسنده (ص٢٠٤)، والبيهقي في السنن الكبرى- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ الصَّدَقَةُ، حديث رقم: ٧٣٤٠، ومعرفة السنن والآثار- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ مَنْ تَجِبُ عَلَيْهِ الصَّدَقَةُ؟ حديث رقم: ٨٠١٤، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يواجهون الحياة بما تحويه من مخاطر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى﴾، وكيف يأمر الله تعالى أولياء اليتامى باختبارهم، لقياس قدراتهم العقلية، وتقييم خبراتهم الحياتية، والوقوف على إمكانياتهم المعرفية؛ لأنهم سيواجهون الحياة بعدها بما تحويه من مخاطر، وما تشتمل عليه من عقبات!

فيدفع الولي لهذا الذي كان يتيمًا قدرًا يسيرًا من ماله، وينظر كيف يفعل به، فإن أحسن حفظه وتدبيره، وتنميته وتكثيره وهو قدرٌ يسيرٌ، فهو على تنمية الكثير أقدر، وبحسن تدبيره أعلم.

وإن خبط فيه خبط عشواء، أو سلك به سبل الغواية، فهو لما سواه أضيع، وعن سبيل الرشد أبعد، وما زال في سفاهته يتخبط.

ولولا ما أمر الله تعالى به من الابتلاء لضاع أولئك اليتامي بضياع أموالهم، ولقاسى المجتمع منهم الأَمَرَّين، لفجورِهم تارةً، ولفاقتِهم أُخرى.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

متى تستفيق البشرية من غفلتها وترجع إلى ربها؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[1]

مازال الكبر في بني آدم، ومازالت فيهم تلك الرعونة!

هُزِمُوا في كل ميدان، وسَقَطُوا صرعى في كل وادٍ، ومازالوا يقولون: (حتى ننتصر على الفيروس لا بد من .....)، (وحتى نقضي على كورونا يجب أن.....)، (وحتى نهزم المرض.....).

وما سمعناهم يقولون: (حتى يرحمنا ربنا ويعافينا من هذا البلاء.....)، ولا سمعناهم يقولون: (حتى يهدينا الله لعلاجٍ لهذا الفيروس.....).

متى تستفيق البشرية من غفلتها وترجع إلى ربها؟

متى يعلم الناس أن المقادير بيد الله؟ وأنه وحده القادر على كشف الضر، ورفع البلاء؟

متى يترك الناس صلفهم، ويعلنوا عجزهم، ويظهروا لله افتقارهم؟

متى يعلم الناس أن البلاء موكلٌ بالمنطق؟ وأنهم متى وكلهم الله تعالى إلى أنفسهم هلكوا؟

هذا طبيبٌ يقول: (سيحمي الأطباءُ الناسَ من كورونا). فكان أولَ الأطباءِ موتًا.

وهذا رئيسٌ يقول: (نحن في مأمن من الفيروس)، فينتشر المرض في بلده انتشار النار في الهشيم.

وهذا يقول: (عندنا منظومة طبية لمواجهة المرض).

فما هي إلا أيامٌ قلائلٌ وتنهار تلك المنظومة.

نحن من سماتنا العجزُ، ومن صفاتنا الضعف، ومن شأن الضعيف العاجز أنه إذا أصابه الضرُ أن يلجأ إلى القوي القادر، فيطرح نفسه بين يديه، ويعلن افتقاره إليه.

---

١ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَة/ ٤٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَدَى عنايةِ اللَّهِ تَعَالَى بالْيَتَامَى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا﴾، لتدرك مَدَى عنايةِ اللَّهِ تَعَالَى بالْيَتَامَى!

تقدم أن الله تعالى أوجب على الأوصياء العناية بمال اليتامى بوجوب حفظه له وتنميته، واختبار الْيَتَامَى قبل دفع المال إليهم.

وهنا جملة أخرى من الاحترازات للمحافظة على أموال اليتامى، منها:

المبادرة إلى دفع الأموال إليهم إذا تحقق رشدهم، فرتب الجزاء وهو دفع الأموال على فعل الشرط وهو إيناس الرشد بالفاء التي تفيد التعقيب فقَالَ: ﴿فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ﴾، حتى لا يتوانى أولياء اليتامى في دفع الأموال إليهم.

ومنها: النهي عن أكلها، ثم ذكر الله تعالى حالة يتهاون فيها كثير من الأولياء وهي الإسراف في الإنفاق عليهم، فلا يبالي الولي ولا يدقق في الإنفاق من مال اليتيم كما يدقق في الإنفاق من ماله، فعدَّ الله تعالى ذلك منه أكلًا لمال اليتيم؛ لأنَّه يفعل ذلك لحظ نفسه تارةً، ليقال عنه جوادٌ كريمٌ، وتارةً لما يعود عليه بالنفع، حين يشترى ما هو فوق حاجة اليتيم، وتارةً تهاونًا بالمال فينفقُ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ ضَرُورِيَّةٍ.

ومنها: المبادرةُ بالإنفاقِ بلوغَ اليتيمِ سِنَّ الرُّشدِ فيُحرَم الوليُّ من الانتفاعِ بالأموالِ.

وذكر الله تعالى الإِسْرَافَ فِي الإنفاقِ، وَالْمُبَادَرَةَ بِهِ قَبْلَ بُلُوغِ الْيَتَامَى لأنَّه غالبُ ما يقعُ عند الأوصياءِ من المخالفاتِ.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أرأيتَ كيفَ يعالجُ اللَّهُ تَعَالَى شَرَهَ النَّفسِ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.[1]

تأملْ قَوْلَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾، وَلِمَ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى هذا اللَّفْظَ ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾؟

ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى للوليّ حالتين لا ثالثَ لهما: حالةَ الغِنَى، وحالةَ الفقرِ.

وقال في حالةِ الفقْرِ: ﴿وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ﴾، وكان مقتضى الكلام أن يقول في حالةِ الغِنَى: (ومن كان غنيًّا فلا يأكل)، وإنما عَدَلَ عن النهي عن الأكل إلى الأمر بالاستعفاف إشارةً إلى أنَّ الأكلَ من مال اليتيم حال الغنى من دناءة النفس التي لا تليق بمن هذا حاله، وَالْعِفَّةُ: هِيَ تَرْكُ مَا لَا يَنْبَغِي مِنَ الشَّهَوَاتِ، ففي الآية أمر بالترفع عن هذا الفعل، وقوله: ﴿فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾، يثير في النفس الرغبة في تحصيل الكمال، بتنزيه النفس عما يشينها، والبعد عن الاتصاف بالأخلاق الدنيئة، ومنها عدم العفة، فإنَّ من مكارم الأخلاق التي يحرص التاس عليها، أن يقال: (فلان نفسه عفيفة).

وَإِنما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾، وما قال: (وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَعِفْ)؛ لأنَّ اسْتَعَفَّ أَبْلَغُ مِنْ عَفَّ، فكَأَنَّهُ يدعوه إلى المبالغة في التَّرَفُّعِ عن الأكلِ من مال اليتيمِ، بزِيَادَةِ الْعِفَّةِ.

ولما كان الأمر فيه شِدَّةٌ ويحتاجُ إلى قوةٍ تردعُ النَّفْسَ عما جُبِلَتْ عليه من حُبِّ المالِ لا سيما ذلك الذي في متناولِ اليدِ، أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالتَّعَفُّفِ، وَهُوَ تَكَلُّفُ الْعِفَّةِ الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ، لأنَّ الأمر بالعفةِ يحتاجُ إلى مجاهدةٍ، حَتَّى تَسْتَحْكِمَ مَلَكَةُ الْعِفَّةِ فِي النَّفْسِ بِالتَّكْرَارِ.

أرأيتَ كيفَ يعالجُ اللَّهُ تَعَالَى شَرَهَ النَّفسِ؟ وكيفَ يكْبَحُ جِماحَ شَهْوتِهَا للمالِ؟

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتى لا يزهد الناس في عمل الخير

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾، وانظر كيف صان الله تبارك وتعالى أعمال البر ومنها الولاية على الأيتام من أن يزهد الناس فيها أو يعرضوا عنها!

قد يدفع الوصي إلى اليتيم ماله ثم يجحد اليتيم ذلك المال ويظلم الوصيَّ فيعرض الوصي عن عمل الخير، ويندم على ولاية هذا اليتيم، ويزهد الناس في عمل الخير والإحسان إلى الناس؛ لذلك أمر الله تعالى بالإشهاد عند دفع المال لليتيم درأ لتلك المفسدة، وصيانة لأعمال البر من الضياع.

وشدد الشرع في الإشهادِ على دفع الأموال فأهدر حقَّ هذا الولي إذا فرَّطَ في الإشهادِ لأنَّهُ تفريطٌ في أمر الله تعالى؛ عَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يَدْعُونَ اللَّهَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ: رَجُلٌ كَانَتْ تَحْتَهُ امْرَأَةٌ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ فَلَمْ يُطَلِّقْهَا، وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ عَلَى رَجُلٍ مَالٌ فَلَمْ يُشْهِدْ عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ آتَى سَفِيهًا مَالَهُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمْ﴾[النساء: ٥]».[2]

وامتثال أمر الله تعالى بالإشهادِ من أعظم أسباب سدِّ الذرائع؛ فإنَّ النفس أمارة بالسوء إلا ما رحم ربي، فقد يتجرأ اليتيم على الادعاء على الولي بعد أخذه للمال إذا علم أن الولى لا مستند له، لا سيما إذا كان في نفسه منه شيء، فَسَدَّ اللهُ تعالى تلك الذريعة، كبحًا لجماح تلك النفس الأمارة بالسوء، ولجمًا للشر، ودرءًا للفساد.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٦

٢ - رواه الحاكم وصححه- تَفْسِيرُ سُورَةِ النِّسَاءِ، حديث رقم: ٣١٨١، والبيهقي في السنن الكبرى- كِتَابُ الشَّهَادَاتِ، بَابُ الِاخْتِيَارِ فِي الْإِشْهَادِ، حديث رقم: ٢٠٥١٧، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن كانوا لا يعلمون فتلك مصيبة، وإن كانوا يعلمون فالمصيبة أعظم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ.....﴾، وقارن بين هذا التشريع العظيم، وبين ما كان عليه العرب في جاهليتهم، حيث كانت المرأة متاعًا يُورَثُ، يرى أهل الجاهلية حياتها عارًا، ودفنها حيةً مكرمةً، ووجودها للذل والخدمة، لا رأي لها ولا عقل عندها، فلا تستشار، ولا تؤتمن، ولكن تهان وتمتهن.

في ذلك الجو الملبد بغيوم الجاهلية، والمدلهم بظلمات الباطل، بزغ نور الإسلام، وانتشر ضياؤه على الكون، فبدد تلك الظلمات، وانقشعت تلك الغيوم، فأصبحت المرأة معلمة الرجالِ، ومربية الأجيال، تؤتمن وتستشار، وتكرم ولا تهان، وتوضع على الرؤوس وبين الأجفان، وجعلها الله تعالى سببًا في دخولِ الجنةِ بنتًا وأختًا وأمًّا، وجعلها مناط الخيرية زوجةً، وحذَّر من ظلمها والتعدي على حقها غاية التحذير.

وجعل من مظاهِرِ تكريمِهَا تأدِيبَهَا وتعليمَهَا، والنفقةَ عليها وتزويجَهَا؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ» وَضَمَّ أَصَابِعَهُ.[2]

وجعل النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بر الوالدة من أعظم القربات، وأجل الطاعات، بل ومن أعظم أسباب دخول الجنة؛ فعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ جَاهِمَةَ، أَنَّ جَاهِمَةَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَدْتُ الْغَزْوَ وَجِئْتُكَ أَسْتَشِيرُكَ. فَقَالَ: «هَلْ لَكَ مِنْ أُمٍّ؟» قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: «الْزَمْهَا فَإِنَّ الْجَنَّةَ عِنْدَ رِجْلِهَا».[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ فَضْلِ الْإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ، حديث رقم: ٢٦٣١

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٥٥٣٨، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وجعل من دلائل الفضل، وأمارات الخير في الرجل إحسانه لزوجته؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي».[1]

وجعل الله تعالى الرجل والمرأة في المنافسة على الطاعات كفرسي رهان؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾.[2]

وبرَّأَ الإسلامُ المرأةَ من أباطيل المشركين وترهات أهل الكتاب، حيث كانوا يرونها رجزًا من عمل الشيطان، أو هي شيطان في صورة إنسانٍ، أو هي بشر لكنه خلق للذل والهوان، كما تمخض بذلك مؤتمر عقد في فرنسا ليناقش حقيقة المرأة.

وما انقدحت أذهانهم بذلك إلا بما أُشربته قلوبهم من كتابهم المقدس الذي يصور المرأة بأقبح صورة، ويحملها مسؤولية خروج آدم من الجنة.

فجاء القرآن ببراءتها من ذلك البهتان، وجعلها وآدم عليهما السلام في هذا الأمر على حد سواء؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾.[3]

تأمل تلك الكرامة التي أكرم الإسلام بها المرأة، وتأمل أولئك الذين يملؤن الدنيا صياحًا وضجيجًا حتى بحت حنجرهم بالمناداة بتحرير المرأة من ظلم الإسلام.

ولا أدري أَيُّ مثال يريدونه للمرأة المسلمة، أيريدون لها مثالَ المرأة الروسية التي تشكل لروسيا البيضاء أعلى مصدر للدخل عن طريق الرقيق الأبيض؟

أم يريدون لها مثالَ المرأة الأوربية والأمريكية التي تعمل في كل مهنة مهما كانت وضيعة لتأكل قوت يومها، فإذا توقفت عن العمل باتت مشردة وماتت جوعًا؟

والعجيب أن هؤلاء الذين ينعقون ليل نهار بالدعوة لتحرير المرأة ينتسبون للإسلام!

---

١ - رواه ابن ماجه- حديث رقم: ١٩٧٧، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ورواه البيهقي في السنن الكبرى- كِتَابُ النَّفَقَاتِ، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ عَلَى الْأَهْلِ، حديث رقم: ١٥٦٩٩، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، بسند صحيح

٢ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ١٢٤

٣ - سُورَةُ البقرةِ: الْآيَةُ/ ٣٦

أتراهم يعلمون أنهم ينفذون مخططات أعداء الإسلام؟ أم هم لا يعلمون؟

فإن كانوا لا يعلمون فتلك مصيبة، وإن كانوا يعلمون فالمصيبة أعظم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَرَادَ أنْ يُذْهِبَ الحَسَدَ مِنْ قُلُوبِهِم، ويَكْسِرَ حِدَّةَ تَطَلُّعِهِم لِمَا فِي أَيدِي الوَرَثَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾. وكيف يراعي الشرع نفوس أولئكَ الأقارب الذين لهم من وشائج القربى ما يربطهم بالمتوفى ولكن لا ينالوا بها شيئًا من ميراثه، وأولئك اليتامى الذين يعانون مرارة فقد الآباء وتتشوف نفوسهم لما يخفف ولو شيئًا يسيرًا من ذلك الفقد، وأولئك الْمَسَاكِين الذين سكَّن الفقرُ حركتهم وودوا لو جاءهم شيءٌ من المال عفوا كما جاء أولئك الورثة.

وَهَؤلَاءِ جَمِيعًا أُولُو الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ تتطلعُ نُفُوسُهُم لِمَا يُقْسَمُ مِنَ الميراثِ وهُمْ يَرَونَهُ بأَعْيُنِهِم، وتَشْتَهِيهِ نُفُوسُهُم، وتتعلقُ به قُلُوبُهُم، فأَمَرَ اللهُ تَعَالَى بِبَذْلِ شَيءٍ مَنَ المالِ لَهُم، لِيَذْهَبَ الحَسَدُ مِنْ قُلُوبِهِم، ويُطْفِئَ ظَمَأَ نُفُوسِهِم، ويَكْسِرَ حِدَّةَ تَطَلُّعِهَا لِمَا فِي أَيدِي الوَرَثَةِ، ولو تُرِكُوا مِنْ ذَلِكَ لعَادَ كلُ واحدٍ مِنْ هَؤلَاءِ نَاقمًا عَلَى كُلِ وَارِثٍ، حَاسِدًا لِكُلِ ذِي مَالٍ، يَرَى نفْسَهُ أَحقَّ من هذا الوارث بما وَرِثَ، وأولى بما في يدِهِ مِنْ مَالٍ.

وتأمل قوله: ﴿وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا﴾، فإنَّ مِنْ شَأْنِ الورثةِ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ أنْ يَتَبَرَّمُوا مِنْ حُضُورِ ذَوِي الْقُرْبَى، وَغَيْرِهِمْ مَجْلِسَهُمْ عند تقسيم الميراثِ فأمروا بإحسانِ القولِ كما أحسنوا الفعلَ بإعطائهم شيئًا من المالِ المقسومِ، وفيه دليلٌ على تأثير القول الجميل على النفس، وقد قال أبو الطيب:

لا خيلَ عندكَ تُهديها ولا مالُ ***** فَلْيُسْعد النطقُ إن لم تُسْعد الحالُ

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

همٌّ يَقُضُّ المضَاجِعَ، وتنوءُ بحملِهِ الجِبَالُ الرَّوَاسِي

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾.[1]

تَأَمَّلْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾. كيف جعلَ اللَّهُ تَعَالَى التقوى والقولَ الصائبَ السَّديدَ سببًا في حفظِ الذُّرِّيَّةِ بعد موتِ عائلهم!

أخشى ما يخشاه الإنسانُ بعد موته ضياعُ ذُرِّيَّتِهِ من بعده، لا سيما إذا كانوا صغارًا ضِعَافًا.

وهو همٌّ يَقُضُّ المضَاجِعَ، وتنوءُ بحملِهِ الجِبَالُ الرَّوَاسِي، وتضيقُ به صُدُورُ صَناديدِ الرِّجَالِ.

لَمَّا حَضرتْ سُلَيْمَانَ بن عبد الْملك الْوَفَاةُ أَرَادَ أَن يسْتَخْلف فَقَالَ لرجاء بن حَيْوَة اعْرِض عَليّ وَلَدي فعرضهم عَلَيْهِ فَإِذا هم صغَارٌ فَنظر إِلَيْهِم وَقَالَ يَا رَجَاءُ:

إِن بني صبيةٌ صغَارٌ ***** أَفْلحَ مَنْ كَانَ لَهُ كبارٌ

ولما أُحْضِرَ تميمُ بنُ جميلٍ الطّوسي مصفّدًا بالحديد بين يدي المعتصم، وقد بسط له النّطع وانتضي السّيف وأمر بضرب عنقه قال له تكلم فقال:

مَا جزعي من أَن أَمُوت وإنّني ***** لأعْلم أنّ الْمَوْت شَيْء موقّت

ولكنّ خَلْفي صبية قد تَركتهم ***** وأكبادهم من حسرة تتفتّت

كأنّي أَرَاهُم حِين أنعى إِلَيْهِم ***** وَقد خمشوا حرّ الْوُجُوه وصوّتوا

فَإِن عِشْت عاشوا سَالِمين بغبطة ***** أذود الْأَذَى عَنْهُم وَإِن متّ موّتوا

فعفا عنه المعتصم، وَقَالَ: فقد غفرت لَك الهفوة، وتركتك للصبية.[2]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٩

٢ – الفرج بعد الشدة للتنوخي (٤/ ٩٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمر اللَّهُ تَعَالَى من أرادَ أن يحفظ الله تعالى ذريته من بعده بتقوى الله، فإنَّ من اتقى الله كفاه؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.[١]

ومن ذلك أنْ يَتَّقِي اللَّهَ فِي حقوقِ النَّاسِ، وأن يكفَّ عن ظلمهم.

وأمر بتحري الْعَدْلَ وَالصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ، كَمَا يُحِبُّ أَنْ يُفْعَلَ بِأَوْلَادِهِ، فإنَّ الجزاءَ مِنْ جِنْسِ العملِ، وكَمَا تَدِينُ تُدَان.

١ - سُورَةُ الطَّلَاقِ: الآية/ ٢، ٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَرَّضَ بِذِكْرِ البُطُونِ لخستِهِم وَسُقُوطِ هِمَمِهِمْ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.[1]

تأمل ذلك العقاب الشنيع لآكلي أموال اليتامى يوم القيامة؛ ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾!

قَالَ السُّدِّيُّ: إِذَا أَكَلَ الرَّجُلُ مَالَ الْيَتِيمِ ظُلْمًا يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهَبُ النَّارِ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ وَمَسَامِعِهِ وَأُذُنَيْهِ وَعَيْنَيْهِ، يَعْرِفُ كُلُّ مَنْ رَآهُ أَنَّهُ أَكَلَ مَالَ الْيَتِيمِ.

وتأمل كيف قصر اللَّهُ تَعَالَى أكلهم على النَّارِ فلا مطمع لهم في غيرها من المطعومات، كما عافوا الحلال في الدنيا وولغوا في أموال اليتامى.

وتأمل كيف عَرَّضَ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِ البُطُونِ لخستِهِم وَسُقُوطِ هِمَمِهِمْ، وأنهم لا غاية لهم إلا ملء البُطُونِ ولو كانَ بالحرام المستبشع، أو الخبيث المستقذر.

وهم مع امتلاء بطونهم من جمرِ النَّارِ، سَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا تشوى فيها أجسادهم، ليكون عذابهم ظاهرًا وباطنًا، وما ذلك إلا لشناعة هذا الذنب وبشاعته.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَدَلُّ على الاهتمامِ، وسرعةِ تحقيقِ المرادِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ....﴾.[1]

تأمل قولَهُ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ....﴾، لماذا ذكر الله تعالى لفظ الوصية دون الأمر؟

لَمْ يذكر الله تعالى لفظ الأمر هنا كما ذكره في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ [البقرة: ٦٧]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨]، وعدل عنه إلى لفظ الوصية لأسباب منها:

الأول: ما جبل عليه الآباء من حب الأولاد، ورغبتهم في إيصال الخير لهم، وإيثارهم على أنفسهم.

الثاني: ما جبلت عليه النفوس من حب انفاذ الوصية، واستثقال الأوامر ولو كانت شرعية.

الثالث: الإيصاء أدل على الاهتمام، وسرعة تحقيق المراد.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أفي ذلك ظلمٌ للمرأة أو هضمٌ لحقها؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ....﴾.[1]

تأملْ قولَهُ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ....﴾، وما هي العلة في تفضيل الذكر هنا على الأنثى وهل في ذلك ظلمٌ للمرأة كما يدندن أعداء الإسلامِ، وكما يهرف جهال المسلمين تقليدًا لاعداء الدين؟

وقبل أن نبين ذلك لابد من بيان أمرٍ يغفلُ عنه كثير من الناس، وهو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ٣٣]، وأنه تعالى لَا رَادَّ لِأَمرِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعدِ: ٤١]، فمن كان مؤمنًا فلا يحل له أن يقدح في دين الله تعالى وشريعته، ومن عاب أحكام الشرعِ وقدح فيها فهو عن الإيمان بمعزِلٍ، وهو إلى الكفر يومئذ أقرب منه للإيمان؛ ﴿فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النِّسَاءِ:٦٥]، والله أعلم بما يصلح عباده؛ ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.[2]

وإلى أولئك الذين يظنون أن الإسلام هضم المرأة حقها، وانتقص نصيبها نقول كانت المرأة في الجاهلية تورث كما يورث المتاع، وتباع بيع الإماء، وتوأد حية لا لشيء إلا لأنها أنثى، فرفع الإسلام مكانتها، وأعلى منزلتها، ورفع قدرها، وشرَّفها أُمًّا، وكرَّمها أُختًا، وحفظها زوجةً، وصانها بنتًا، وجعلها على قدم المساواة مع الرجل في العبادات والقربات قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ».[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١١

٢ – سُورَةُ الْمُلْكِ: الآية/ ١٤

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٦١٩٥، وأبو داود– كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَجِدُ الْبِلَّةَ فِي مَنَامِهِ، حديث رقم: ٢٣٦، والترمذي– أَبْوَابُ الطَّهَارَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ فِيمَنْ يَسْتَيْقِظُ فَيَرَى بَلَلًا وَلَا يَذْكُرُ احْتِلَامًا، حديث رقم: ١١٣، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولها من الأجر والثواب ما للرجال؛ ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾.[1]

أمَّا العلة التي من أجلها جعل الله تعالى ميراث المرأة على النصف من ميراث الرجل؛ ففي الإسلام ينفقُ الرجلُ على المرأة أُمًّا، وأُختًا، وزوجةً، وبنتًا، ولا تكلف المرأة بالنفقة على زوجها ولا على أبيها ولا على أخيها ولا على ابنها، وعند الزواج أوجب الشرع لها مهرًا، ولم يلزمها بشيءٍ تدفعه، فكان مالها موفورًا عليها، فلما أوجبه الشرع على الرجل من النفقات زاده في الميراث عن أخته وليس كل ذكر مفضل على الأنثى في الميراث، فمن مات ورتك أمًّا وأبًا وبنتًا، كان للبنت النصف فرضًا وللأم السدس والباقي للأب، فأخذت البنت أكثر من الأب، ومن مات وترك زوجة وعددًا من الاخوة الأشقاء، فللزوجة الربع فرضًا لعدم الفرع الوارث، والباقي للأخوة تعصيبًا، وقد لا يصل نصيب الأخ عشر التركة إذا كثر عددهم.

وصور زيادة الأنثى على الذكر في الميراث كثيرة جدًا، وأحيانا ترث المرأة مثل ميراث الرجل، وأحيانا ترث المرأة ولا يرث الرجل، ولولا أن المقام لا يتسع لسردت تلك الحالات سردًا وبينتها بيانًا تفصيليًا.

أفي ذلك ظلمٌ للمرأة أو هضمٌ لحقها؟

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٢٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلمات قليلة المبنى، غزيرة المعنى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ....﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ....﴾. مع قول الله تعالى في آخر السورة: ﴿فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ....﴾. [النِّسَاءِ: ١٧٦]، وإياك أن تتوهم أن في القرآن شيئًا زائدًا، أو تظن أن اختلاف الصيغتين فقط لتلوين الخطاب، الأمر أكبر من ذلك بكثير، ولم لا؟ وهو كلام الملك تبارك وتعالى.

ونقول في الآية إعجاز بلاغي وإعجاز تشريعي، وذلك أن الله تبارك وتعالى ذكر أحكام المواريث في كتابه في ثلاثِ آياتٍ: آيتين في صدر سورة النساء، وآية في آخرها، وهذا غاية الإيجاز، مع ما تحويه من المعاني الغزيرة، والأحكام الكثيرة، وترابطت هذه الآيات برباط وثيق، واقترن بعضها ببعض ليستنبط منها الراسخون في العلم ما لا يظهر إلا بالمقارنة بينها.

فقد استفدنا من الآية الأولى أن البنت لها النصف، وأن البنات إذا كن أكثر من اثنتين فلهن الثُّلُثَانِ، ولم تنص الآية الأولى على نصيب البنتين، أيلحق بنيب البنت فيكون لهما النصف؟ أم يلحق بنصيب الجمع من البنات فيكون لهما (أعني البنتين) الثلثين؟

واستفدنا من الآية الأخيرة أن الأخت لها النصف، وأن الأختين لهما الثُّلُثَانِ، ولم تنص على ما فوق الأختين إذا انفردن بالتركة.

وهنا يظهر لنا جليًّا اقتران الآيتين، ليُعملَ العلماء عقولهم في استنباط المعاني من كلام الله تبارك وتعالى.

قال العلماء إِذَا وَرِثَ الْأُخْتَانِ الثُّلُثَيْنِ، وهما أقل رتبةً في القرابةِ من البنتين، فمنْ بابِ أولى تَرِثُ الْبِنْتَانِ الثُّلُثَيْنِ.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ١١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولم يذكر حكم ما زاد على الأختين في آخر السورة، وَوَرِثَ ما زاد على البنتين الثُّلُثَيْنِ، فلا يأخذ ما زاد على الأختين فوق الثلثين، أرأيت كيف جمعت كلمات قليلة المبنى، أحكامًا غزيرة المعنى!

وصدق الله تبارك وتعالى إذ يقول: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هُودٍ: ١]، أي: أُحْكِمَتْ أَلْفَاظُهُ وَفُصِّلَتْ مَعَانِيهِ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يصلح للناس إلا ما شرعه رب الناس

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ فَإِنْ كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِنْ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ....﴾.[1]

تأمل ذلك التشريع العجيب، وتلك القسمة الدقيقة لهذه الفروض، حتى ذكر الله تعالى الثمن، والسدس، والربع، والثلث، والنصف، والثلثين، وحتى تولى الله تعالى تلك القسمة بنفسه، ولم يرض أن يقسمها ملك مقرب، ولا نبي مرسل!

وتأمل ذلك التفاوت بين تلك الأنصباء، حتى جعل للبت النصف، ولكل واحد من الأبوين السدس، مع وجود الفرع الوارث، وجعل للزوجة الثمن مع وجود الولد، والربع إن لم يكن للزوج ولد، وجعل للزوج الربعَ مع وجود الولد، والنصفَ إن لم يكن للزوجة ولد!

وتأمل لِمَ جعل الله تعالى للإخوة لأم الثلث مع عدم الفرع الوارث، وعدم وجود الأصل الوارث، ولم جعل الله تعالى نصيبهم الثلث ولم يجعله النصف أو الثلثين؟

وتأمل لمَ جعل للأم السدس مع وجود الولد ومع وجود جمع من الأخوة والأخوات، وجعل لها الثلث مع عدم الولد، وعدم وجود الإخوة؟ ولمْ يجعل لها أكثر من ذلك أو أقل.

وتأمل التفاوت بين نصيب الأم والزوجة، لم كان نصيب هذه السدس ونصيب هذا الثمن في أدنى الحالتين؟ وجعل للأم الثلث وللزوجة الربع في أعلى الحالتين؟

ومهما بحثت أعملت فكرك، وحلقت في سماء الآيات بعقلك فلن تهدي إلى العلة التي من أجلها كان هذا التفاوت.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد كفانا الله تعالى عناء البحث، وإجهاد الفكر، ومشقة التنقيب عن تلك العلة فقال: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾.[1]

أقول هذا ردًّا على بعض السفهاء الذين ظنوا أنهم يستدركون على الشرع، وأنهم – زعموا – يصوبون ما فيه من أخطاء، وأنه يشتمل على ظلم في قسمة المواريث تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا، وتذكر دائما قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[2]

وتيقن تمامًا أنه لا يصلح للناس إلا ما شرعه رب الناس؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.[3]

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١١

٢ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَة/ ٢١٦

٣ – سُورَةُ الْمُلْكِ: الْآيَة/ ١٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الزمْ حكمَ الشَّرعِ، فلا تُقدِّمْ مَنْ أخَّرَهُ اللهُ، ولا تُؤخِّرْ مَنْ قَدَّمَهُ اللهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾، لتعلم يقينًا أن ما عندك مجرد ظنون وأوهام، وأن العلم عند الله تعالى، فكم ممن يتنعم بميراث لا يذكر مورثه، وكم منهم من إذا لا يذكره إلا بالسوء، وكم منهم ذكره له لعنات تترا ليل نهار.

قبل أن تحيف في حكمك، وتجور في قسمتك، وتبدل كلام ربك، اعلم يقينًا أنك لا تعلم.

نعم أنت لا تعلم.

لا تعلم من يحبك ومن يبغضك على الحقيقة، وإنما نحكم بالظاهر والله يتولى السرائر.

لا تعلم مآلات الأمور لأنها من الغيب الذي استأثر الله تعالى بعلمه.

لا تعلم من سيدعو لك بعد بعد موتك، ومن ستصدق عنك إذا انقطع من الدنيا عملك.

فإذا كنت كذلك فالزم حكم الشرع، ولا تقدم من أخره الله، ولا تؤخر من قدمه الله، ولا ترفع من وضعه الله ولا تضع من رفعه الله، ولا تعط من حرمه الله، ولا تحرم من أعطاه الله، فإن الله يعلم ولا تعلم، والله أرحم بخلقه منك بهم؛ ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[2]

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١١

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التشريعُ خاصٌ بربِ البشرِ؛ لأنَّه فوقَ مداركِ البشرِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾، لتعلم أن أحكام الشرع ليست قابلةً للتدول في المجالس النيابية، ولا في المنتديات الاجتماعية، وليست مطروحة للاستفتاء عليها نقبلها أو نرفضها؛ لأنها بلا أدنى شك، ﴿فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ﴾، في كتابٍ ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.[2]

والله تبارك وتعالى الذي يعلم مكنونات النفوس، وسرائر خلقه، وما يعتمل في صدورهم، وما تنطوي عليه جوانحهم، يعلم تعالى شأنه أن مِنْ خلقه مَنْ سيخرج على الناس متباهيًا بعلمه، متفاخرًا بذكائه، معلنًا تمرده على خالقه، مقدمًا عقله على شرع خالقه تبارك وتعالى، مجاهرًا بأنَّ أحكامه لا تلزمه، ونسي المسكين أو تناسى أن ما عنده من علم – إن كان عنده – فهو محض فضل من الله، وأن وسائل الإدراك عنده ليست من كسبه ولا هي من مفعوله إنما هي منحٌ إلاهيةٌ، وهباتٌ ربانيةٌ؛ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[3]

وتأمل قَولَه تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، فذيل الله تعالى الآية بالعلم، بعد قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿لَا تَدْرُونَ﴾، تأكيدًا على بيان أنَّ التشريعَ خاصٌ برب البشر؛ لأنه فوق مدارك البشر، ويعلم ما يصلح العباد سواه، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الْمُلْكِ: ١٤]، مع ما تقرر من قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[4]

وأدلُّ دليلٍ على أَنَّ التشريعَ فوقَ مداركِ البشرِ ما نراه من القوانين الوضعية التي يتم تعديلها كل حين لما تشتمل عليه من النقص والقصور حينًا، والضعف والعجز أحيانًا، وما يعريها من

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١١

٢ – سُورَةُ فُصِّلَتْ: الآية/ ٤٢

٣ – سُورَةُ النَّحلِ: الآية/ ٧٨

٤ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢١٦

الخلل، وما يتخللها من الثغرات، فتحتاج إلى التعديل مرات ومرات، أليس ذلك دليل العجز الذي هو سمة الخلق، وأمارة الجهل الذي يتصف به البشر!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرآن لا تتغير فصاحته بتغير ألوان خطابه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمُ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْنَ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِينَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَلَهُنَّ الرُّبُعُ مِمَّا تَرَكْتُمْ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكْتُمْ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا السُّدُسُ فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَى بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرَ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾.[1]

من سمات القرآن العجيبة ومن خصائصه التي تفرَّدَ بها عن كل كلامٍ، أنَّه في أعلى درجات الفصاحة، وفي أسمى مراتب البيان.

وهذا الأمر يظهر جليًّا في عدة أمور منها:

أنه لم يتغير على مدار ثلاث وعشرين سنة، وكلُ كاتبٍ يظهر التفاوتُ في كلامه لا سيما مع طول أمد الكتابة؛ لأنه يتأثر بما يكتسب مع الزمن من ملكة البيان، وأساليب البلاغة ما يظهر في كلامه من جودة السبك، وحسن النظم، وبراعة التعبير، وهو أمرٌ مشَاهَدٌ لا يحتاج إلى استدلال.

والقرآن من أوله إلى آخره على درجةٍ واحدةٍ من الفصاحةِ، في أعلى درجات البيان، فليس فبين آياته وسوره شيءٌ من التباين، ولا تجدُ أثرًا للاختلافِ بين أوله وآخره، وهذا من دلائل إعجازه وأنَّه كلامُ ربِ البشر.

ومنها: أنك تستشعر في كل كلام تقرؤه حَالَ كاتبه، فتحكم أحيانًا من خلال كتاباته بما يعتمل في صدره من سعادةٍ غامرةٍ تكاد تنطق بها كلماتُهُ، حتى تخرجه إلى حدِّ الطيش أحيانًا، أو حزنٍ بليغٍ تكاد تحرقك زفرات أنفاسه التي تتردد بين السطور من شدَّةِ الغمِّ أحيانًا، أو هموم تنوء بحملها الجبال الرواسي تستشعر ثقلها في تلك الحروف والكلمات، فينوء بحملها لسانُك ويضيقُ من ثقلها صدرك، ولا يسلمُ أحدٌ من الخلق من ساعات تمر به يجيش صدره

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ١٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بتلك المشاعر، وتعتمل فيه تلك الأحاسيس، ومع ذلك لا نرى لذلك أثرًا في القرآن، وقد مَرَّ بالنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عامُ الحزن، وأصابه ما أصابه من آلام، ولم يظهر لذلك في القرآن أثرٌ؛ لأنه ليس كلام بشرٍ، إنما هو كلام رب البشرِ.

ومنها أنه لم تتغير فصاحته بتغير ألوان خطابه، كالقصص، والأحكام، والتوحيد، والوعظ، ففي هذه الآية التي بين أيدنيا كل الكلام عن الفروض المقدرة للزوجين، واختلاف أحوالهما من وجود الولد وعدمه، وميراث الكلالة، وأحوال الأخوة واختلافهم قلة وكثرة، وذكر النصف، والربع، والثمن، والثلث، والسدس، وذكر الوصية والدين، ومع ذلك فهي تحلق في سماء البيان، شأنها شأن سائر آيات القرآن، ولم لا؟ أليس هو كلام الرحمن؟

ومنها أنه لا تتغير فصاحته بطول الآيات ولا بقصرها، فالإيجازُ فيه إعجازٌ، والإطنابُ فيه إعجازٌ، لا يخلق عن كثرة الردِّ، ولا تنقضي عجائبه، ولا يُعلى عليه؛ لإنه كلام الله تبارك وتعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جريمة نكراء ألقت بصاحبها في مهاوي الهلاك

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١٣) وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.[١]

تأملْ أثرَ الوقوفِ عند حدودِ الشرعِ، والتَّقَيُّدِ بأوامرِهِ ونواهيه!

الكلام هنا عن الفرائض التي جعلها الله تعالى للورثة فمن تأدب مع أحكام الله تعالى فلم يزد بعض الورثة عن حقه الذي فرضه الله له، ولم ينقص بعض الورثة عن حقه الذي قدره الله تعالى له فهو الذي أطاع الله تعالى، فله البشرى في الدنيا على عدله واستقامته، وله البشرى في الآخرة بالنعيم المقيم، والفوز العظيم؛ ﴿يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

ثم تأمل أثر الاجتراء على حدود الشرع، والإعراض عن هدى رب السماوات والأرض، وتقديم العقل القاصر والفهم السقيم على الشرع الحكيم، وعلى هدي خاتم المرسلين!

تأمل تلك الجريمة النكراء والفعلة الشنعاء، كيف ألقت بصاحبها في مهاوي الهلاك، وأرثته ذلًا يدوم، وخزيًا لا يزول!

تأمل تلك الآثار المترتبة على الجور في قسمة المواريث! ومنها:

- معصية الله تعالى جبار السماوات والأرض، ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي أوجب الله تعالى على العباد طاعته، وتقديم العقل عليهما؛ ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.
- وتعدي حدود الله تعالى وانتهاك حرماته: ﴿وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ﴾.
- وظلم الورثة الذين حرمهم من الميراث أو أنقصهم حقوقهم.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ١٣، ١٤

- ونثر بذور العداوة والبغضاء بين الورثة حين أعطى من لا يستحق وحرم من يستحق.
- وصار أسوة في الشر لمن أتى بعده وفعل فعله.
- فإذا صرح بأن الشرع لا يلزمه، وسعى لتقنين ذلك الظلم فقد كفر بالله العظيم، وباء بالخسران المبين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

احتياط الشرع لحفظ النفوس وصيانة المجتمعات

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا﴾.[1]

تأمل لم اشترط الشرع لإثبات الفاحشة على أحد من الناس أن يشهد أربعة شهداء؛ كما قال تعالى: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾!

لتعلم أن الشرع يحتاط غاية الاحتياط في الأعراض، ويبالغ غاية المبالغة في نفي التهمة عن الشهود، فلو كان واحدًا أو اثنين ربما تطرقت إليهم التهمة، وأنهما دبرا مكيدة لمن قاموا بالشهادة عليه، فإذا كانوا ثلاثة كانت التهمة عنهم أبعد، وكانوا من سوء الظن أسلم، فإذا كانوا أربعة كانت التهمة عنهم أشدَّ بعدًا، وكانوا من سوء الظن أسلم وأسلم.

وتأمل لم قال تعالى بعدها: ﴿فَإِنْ شَهِدُوا﴾!

لتنتفي كل شبهة إكراه لهم على الشهادة، فلو رأى إنسانٌ مَنْ يمارس الفاحشة وأبى أن يشهد فلا يحل لأحد أن يكرهه على الشهادة.

ويظهر هذا التضييق في إقامة الحدود جليًّا في نصوص الشرع التي تأمر بالستر والعفاف، وتنهى عن كشف العورات، وهتك الأستار؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ».[2]

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ».[3]

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١٥

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٦٩٥٩، وابن ماجه- كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ السِّتْرِ عَلَى الْمُؤْمِنِ وَدَفْعِ الْحُدُودِ بِالشُّبُهَاتِ، حديث رقم: ٢٥٤٤

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٩٧٧٦، وأبو داود- كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي الْغِيبَةِ، حديث رقم: ٤٨٨٠، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن تضييق الشرع في الأعراض إيجاب الحد في قذف المحصنات؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ» قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالْحَقِّ، وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَأَكْلُ الرِّبَا، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ الْمُحْصِنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ».[1]

ومن تضييق الشرع في إقامة الحدود من ثبت عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «تَعَافُّوا الْحُدُودَ فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ».[2]

فإلى أولئك الذين يشنعون على الشرع، ويرمونه بالشدة، ويصفونه بالقسوة، نقول: هذه احتياطات الشرع لحفظ النفوس وصيانة المجتمعات.

وأين هم من عفة المسلمين؟

وهل للأمان في مجتمعاتهم مكان؟

تجيب على ذلك كاميرات المراقبة عندهم التي تصور القتل والسلب والنهب، إذا غفل الرقيب البشري، وتعطلت تلك الكاميرات.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، حديث رقم: ٢٧٦٦، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، حديث رقم: ٨٩

٢ - رواه أبو داود- كِتَاب الْحُدُودِ، بَابُ الْعَفْوِ عَنِ الْحُدُودِ مَا لَمْ تَبْلُغِ السُّلْطَانَ، حديث رقم: ٤٣٧٦، والنسائي- كِتَابُ قَطْعِ السَّارِقِ، مَا يَكُونُ حِرْزًا وَمَا لَا يَكُونُ، حديث رقم: ٤٨٨٥، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٦٢١٢، والحاكم- كِتَابُ الْحُدُودِ، حديث رقم: ٨١٥٦، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا ذنب يتعاظمُ اللهَ تعالى أن يغفره

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنْكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.[1]

تأمل قوله تعالى: ﴿فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا﴾، مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، لتعلم أنَّ الله تعالى لا تعاظمه ذنب أن يغفره، وأن رحمته تعالى وسعت كل شيء، فهذان قد أتيا كبيرة من الكبائر، وذنبًا شنيعًا، وفاحشة قبيحة، ومع ذلك فقد فتح الله تعالى لهما باب التوبة على مصراعيه، حتى لا يقنط من رحمته عاصٍ، ولا ييأس من إحسانه مذنبٌ.

ثم تأمل كيف يداوي الله تبارك وتعالى جراح تلك النفوس التي اقترفت الذنب، بقوله: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾، فلا تعيير، ولا تشهير، وفضيحة، وإنما إعراض عن الذنب، وتجاوز عن الخطأ كأنه لم يكن؛ لفتح صفحة بيضاء يحيا بها بين الناس.

ثم تأمل كيف يدعو الله تبارك وتعالى من ستره عن أعين الناس إلى التوبة إليه!

فإذا كان الله تعالى قد أمر بالإعراض والصفح عمن عُرِفَ عنه ذلك الذنبُ، وأخبر أنَّه إذا تاب صحت توبته، وأن رحمته تعالى تشمله، فغيره ممن ستره الله ولم يعرف عنه ذلك الذنب، سيكون أكثرَ طمعًا في العفو، وأشدَّ تعلقًا بأردانِ التوبة، وأعظمَ رجاءً في رحمة الله تعالى.

إنها رحمة الله التي وسعت كل شيء، وإحسانه الذي عمَّ الخلائق جميعًا، وفضله الذي لا منتهى له؛ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾.[2]

فاحذر يا عبد الله أن تقنط من رحمة الله، واحذري يا أمة الله أن تيأسي من روح الله؛ ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾.[3]

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ١٦

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٦

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الآية/ ٨٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بادرْ يا عبدَ اللهِ قبل أن تُبَادَر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.[1]

تأمل شرط التوبة في هذه الآية وكم من الناس يغفل عنه حتى يفجأه الموت وقد كان يضمر في نفسه أن يتوب لله بعد أن يقضي من الذنوب نهمته، ويشبع منها رغباته.

شرط التوبة أن يتوب العبد من قريب، أي: يتوب قبل الموت، والموت لا يعلم وقته إلا الله تعالى، عن عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِفَوَاقِ نَاقَةٍ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ».[2]

فيا عباد الله احذروا التسويف في التوبة؛ فكم من الناس من أمَّلَ أن يعيش طويلًا فمات في مقتبل عمره!

وكم مِنْ صحيحٍ ظنَّ أنه أبعد ما يكون عن أسباب المنايا، فمات بغتة!

وكم مِنْ صغيرٍ يرتجى طولُ عمرهِ وقد فرغ النُّسَّاجُ من كفانه!

فبادر يا عبد الله قبل أن تُبَادَر.

وصلِّ يا أخي قبل أن يصلى عليك.

واتق الله يا أختي قبل أن يحال بينك وبين ما تشتهين من التوبة.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١٧

٢ – رواه الطبراني في الأوسط– حديث رقم: ٤١٤٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا تحسبن التوبة كلمة تقال، أو حجرة عثرة متى شئت تقال

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ وَلَا الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ.....﴾؛ لتعلم أنَّ التوبةَ توفيق من الله تعالى، ومحض فضل منه سبحانه، وكم ممن يريد التوبة ولا يوفق إليها!

وكم من مريد للخير لا يدركه!

كهذا الذي يتمنى التوبة ولم يسع في سبيل تحقيقها خطوة.

وهذا الذي يتمنى التوبة ويحول بينه وبينها ذنب أدمنه، ومعصية أسرته أسرًا!

وهذا الذي يسوف التوبة حتى يفجؤه الموت؛ قَالَ ابْنُ هِشَامٍ: خَرَجَ أَعْشَى بَنِي قَيْسٍ الشَّاعرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ الْإِسْلَامَ، ومدحَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بقصيدةٍ مشهورة.

فَلَمَّا كَانَ بِمَكَّةَ أَوْ قَرِيبًا مِنْهَا، اعْتَرَضَهُ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَمْرِهِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ جَاءَ يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيُسْلِمَ، فَقَالَ لَهُ:

يَا أَبَا بَصِيرٍ، إِنَّهُ يُحَرِّمُ الزِّنَا، فَقَالَ الْأَعْشَى: وَاللَّهِ إِنَّ ذَلِكَ لَأَمْرٌ مَا لِي فِيهِ مِنْ أَرَبٍ، فَقَالَ لَهُ: يَا أَبَا بَصِيرٍ، فَإِنَّهُ يُحَرِّمُ الْخَمْرَ، فَقَالَ الْأَعْشَى: أمّا هَذِه فو الله إِنَّ فِي النَّفْسِ مِنْهَا لَعُلَالَاتٍ، وَلَكِنِّي مُنْصَرِفٌ فَأَتَرَوَّى مِنْهَا عَامِي هَذَا، ثُمَّ آتِيهِ فَأُسْلِمُ.

فَانْصَرَفَ فَمَاتَ فِي عَامِهِ ذَلِكَ، وَلَمْ يَعُدْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فإذا أردت التوبة، فعليك باللجوء لله تعالى بصدقٍ، والانطراح بين يديه بذلٍّ، وحسن الثناء عليه بأدبٍ، والإقرار بما بدر منك من التقصير في حقه بندمٍ، والندم على سوء فعلك بحقٍّ،

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مع الإقلاع عنه، والعزم على عدم العودة إليه، وسله أن يتوب عليك، فلا توبة لمن لم يوفقه الله تعالى إليها؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾.[1]

أمَّا هذا الذي يسوف التوبة، ويؤجلُ الأوبة، ويستمرئ الذنب، ويستصغر الكبير من الإثم، ويحسب أن التوبة كلمة تقال، أو حجرة عثرة متى شاء تقال، فهو مغبون لا يعرف أثر الذنوب على القلوب، ومغرور لا يعرف مكائد الشيطان للإنسان، ولم يقدر ربه حق قدره.

وقد قيل: لا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى من عصيت.

١ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآية/ ١١٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ينادون بتحرير المرأة من ربقة الدين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا﴾، لتعلم مدى عناية الإسلام بالمرأة!

يقال هذا الكلام لأناس كانوا يعتبرون المرأة من سقط المتاع، وكانوا يتوارثونها، فضلًا عن أن يكون لها حظٌ في الميراث.

قال ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَتِ الْمَرْأَةُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِذَا تُوفِّيَ عَنْهَا زَوْجُهَا فَجَاءَ رَجُلٌ فَأَلْقَى عَلَيْهَا ثَوْبًا، كَانَ أَحَقَّ بِهَا.

فلما جاء الإسلام رفع قدرها، وأعلى شأنها، وجعل لها ما للرجل من حقوق، وساوى بينها وبينه في الأجور والحسنات، ولم يكن ثَمَّ منظمات تدعو للمساواة، ولا هيئات تنادي بالحقوق؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾.[2]

فرفع عن المرأة ظلمًا توارثته الأجيال، درج عليه الصغير وشاب عليه الكبير، وكان إنكاره من أعظم المنكرات، وتغييره ضربًا من الخيال.

ثم رفع عنها ظلمًا آخر فقَالَ: ﴿وَلا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ﴾، والعضل: أن يسيء الزوج عشرتها حتى تفدي نفسها منه بمهرها، وتُبْرئه مِنْ حَقِّهَا، وربما ظلَّ هذا الظلم على المرأة طول عمرها، إلى أن تموت كمدًا، أو تترك حقًا مرغمةً، ولم ينادي برفع هذا الظلم أحدٌ، ولا تبنت الدفاع عنها منظمة، ولا احتاج النساء لتأسيس جمعية لحقوق المرأة، وإنما حرمه الله تعالى ابتداءً، ونهى عنه نهيًا قاطعًا.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ١٩

٢ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٢٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قد يقول قائل: فما بال أولئك الذين ينادون بحرية المرأة؟ وأي مساواة يريدون؟

والجواب: ينادون بتحرير المرأة من ربقة الدين وقيود الشرع، التي تلزم الرجال والنساء على حد سواء.

وينادون بالمساواة فيما لا يستطاع، لتغرق المرأة في أوحال الرذيلة، وتحيا مهينة ذليلة، سلعة تباع وتشترى، غاية مرادها، أن تجد لقمة تسد جوعتها، أو ثوبًا يستر عورتها، أو مسكنًا تأوي إليه، وحال النساء في الغرب خير شاهد.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يخفى إلا على أعمى البصيرة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.[1]

تَأَملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا....﴾، لتعلم أن للمرأة في الإسلام ذمة مالية لا يجوز لأحد أن يسلبها إياها، ولا يجوز لأحد أن يتعدى عليها، وذكر الله تعالى هنا المهر، استكمالا لسلسة الحقوق التي جاء الإسلام لترسيخها، لأن بعض الأزواج يظن أنه أولى بماله الذي دفعه مهرًا للمرأة لأنها أصبحت في عصمته، فيمد عينيه إليه طمعًا فيه ورغبةً في استعادته.

والله تبارك وتعالى حرَّمَ القليل والكثير منه على الأزواج فقال: ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾، وشيئًا نكرة تعم القليل والكثير.

ولما كانت الزوجة تعيش في كنف زوجها، ويضمهما بيت واحد وقد تضيق الأحوال على الزوج، وتنقلب حياته عسرًا بعد يسار، وينسخ غِنَاه عَوَزٌ وإِقْتَارٌ، وقد كون الزوجة غنيةً ذات مالٍ، أباح الله تعالى للزوج أن يأخذ منها ما تجود به عليه عن طيب خاطر، لا رغمًا عنها، ولا قهرًا لها، ولا سلبًا بسيف الحياء؛ فقال: ﴿فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا﴾.[2]

وطيب النفس لا يُعرف بتوقيع، ولا إقرار، ليظل الزوج وجلًا من التعدي على حقوقها المالية، ولا يتشوف لشيء منها.

فمن لم ينزجر بالنهي الأول قرعته أواخر الآية قرعًا؛ ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾، فسمى الله استحلال مالها بهتانًا، لأنه يزعم أنها لن تمانع، ووصف فعله بالإثم المبين لأنه لا يخفى إلا على أعمى البصيرة.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٠

٢ - سورة النِّسَاءِ: الآية/ ٤

وإذا كان هذا حالها مع زوجها التي أخذت منه ميثاقًا غليظًا، وأعطته أغلى ما تملك، واطلع منها على ما لم يطلع عليه غيره، فأبوها أولى بالمنع من أخذ مالها، ومَنْ دونه أولى وأولى بالمنع.

أين هذا التشريع ممن يبيع المرأة بيع المتاع، ويستعبدها استعباد الإماء، ولا يرى لها حقًا، ولا يعرف لها قدرًا؟

يحدث هذا في دول ينظر إليها بعين الإكبار، وتشد إليها الرحال في الأسفار، ويشار إليها بالبنان، وتمتد إليها أعناق المتطلعين إلى الحرية، رغبة فيما عندهم من مدنية، فإذا هي سراب خادع، وحضارة زائفة، تشكل المرأة فيه أعلى مصدر للدخل بما يسمى بتجارة الرقيق الأبيض، نعم تجارة رقيق بمعنى الكلمة، ترغم عليها المرأة إرغامًا، وتقهر قهرًا، لتجد ما تقتات به، من يخرج علينا من بني جلدتنا، من ينادي بتحرير المرأة، أسوة بالمرأة الغربية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اقترف إثمًا ظاهرًا، ونال من البهتان حظًّا وافرًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا﴾، لتعلم أن المهر لا حد لأكثره، ولا يُمنع من بذل الكثير منه.

مع اعتبار أن أكثر النساء بركة أقلهن مهرًا، فعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ تَيْسِيرُ خِطْبَتِهَا، وَتَيْسِيرُ صَدَاقِهَا».[2]

ومع معرفة مقاصد الشريعة في تقليل عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنِّي تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟» قَالَ: عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ الْفِضَّةَ مِنْ عُرْضِ هَذَا الْجَبَلِ».[3]

والاسترشاد بقول الخليفة الراشد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي جعل الله تعالى الحق على لسانه وقلبه؛ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: "أَلَا لَا تَغْلُوا صُدُقَ النِّسَاءِ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مَكْرُمَةً وَفِي الدُّنْيَا، أَوْتَقْوَى عِنْدَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كَانَ أَوْلَاكُمْ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا أَصْدَقَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ امْرَأَةً مِنْ نِسَائِهِ، وَلَا أُصْدِقَتْ امْرَأَةٌ مِنْ بَنَاتِهِ، أَكْثَرَ مِنْ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُغْلِي بِصَدُقَةِ امْرَأَتِهِ، حَتَّى يَكُونَ لَهَا عَدَاوَةٌ فِي نَفْسِهِ، وَحَتَّى يَقُولَ: كُلِّفْتُ لَكُمْ عِلْقَ الْقِرْبَةِ".[4]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٠

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٤٤٧٨، والحاكم – كِتَابُ النِّكَاحِ، حديث رقم: ٢٧٣٩، وابن حبان– كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ الصَّدَاقِ، ذِكْرُ الْبَيَانِ بِأَنَّ تَسْهِيلَ الْأَمْرِ وَقِلَّةَ الصَّدَاقِ مِنْ يُمْنِ الْمَرْأَةِ، حديث رقم: ٤٠٩٥، بسند صحيح

٣ – رواه مسلم– كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ نَدْبِ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الْمَرْأَةِ وَكَفَّيْهَا لِمَنْ يُرِيدُ تَزَوُّجَهَا، حديث رقم: ١٤٢٤

٤ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٨٥، والنسائي– كِتَاب النِّكَاحِ، الْقِسْطُ فِي الْأَصْدِقَةِ، حديث رقم: ٣٣٤٩، وابن ماجه– كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ صَدَاقِ النِّسَاءِ، حديث رقم: ١٨٨٧، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومع ذلك لا يحل لأحد أن يمنع عنها ما أحله الله لها من الفضل؛ ولا يجوز للزوج أن ينظر إلى ما أعطاها لو بدا له فراقها؛ ﴿فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾.

فإذا أخذ منه شيئًا فقد اقترف إثمًا ظاهرًا، ونال من البهتان حظًّا وافرًا؛ ﴿أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا لم يكن من الطلاقِ بدٌ، فلابد من مراعاةِ العهدِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾، وذِكْرَ الميثاقِ الغليظِ، وعلاقة ذلك بالمهر الذي بذله الزوج لزوجته!

إذا استحالت العشرة بين الزوجين، ولم يكن من الطلاق بدٌ، فلابد من مراعاة العهد، وحفظ السر.

ومن مراعاة العهد الوفاء بما بذل لها من المهر، قلَّ ذلك أو كَثُرَ.

وقد يحمل البغض الذي أدى إلى الفراق الزوج على ظلم زوجه، بحرمانها من المهر أو بعضه إن كان مؤجلًا، والظلم من شيم النفوس، وإنما استحل منها ما استحل بهذا المهر، فيذكره الله تعالى بتلك الأمانة.

ثم يذكره بأمر آخر متمم لتلك الأمانة، وهو حفظ ما بينهما من أسرار ائْتَمَنَ كلُ منها صاحبه عليها، سرت في أوصال العشرة بينهما؛ ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾.

﴿وَأَخَذْنَ مِنْكُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾، ومن مقتضيات ذلك الميثاق الغليظ، الوفاء ببنوده ومنها المهر في مقابل البُضْعِ، وهو حقٌ واجبٌ.

ويبقى الفضل والإحسان، وقد ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَلا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾.[2]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢١

٢ – سورة البقرة: الآية/ ٢٣٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَنْ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ يُبْغِضُ مَنْ كَانَ زَوْجَهَا قَبْلَهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ إِلا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى في النهي عن نكاح نساء الآباء: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلا﴾، لم كان نكاح نساء الآباء مقتًا؟ ولم يقل ذلك عن الزنا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلا﴾![2]

والعلة في وصف الله تعالى نكاحَ نساءِ الآباءِ بذلك الوصف وهو المقت وهو أشدُّ البُغْضِ، أَنَّ مَنْ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ يُبْغِضُ مَنْ كَانَ زَوْجَهَا قَبْلَهُ غالبًا، فإذَا تزوجَ الابنُ امرأةَ أبيه أبغض أباه لا محالة، لأنَّهُ سيسمعُ منها حتمًا إذا قصَّرَ: (رحم الله فلانًا كان يفعل كذا وكذا)، وإذا بدر منه شيءٌ تكرهه قالت له: (رحمَ اللهُ فلانًا ما كان يفعل هذا الذي تفعله)، فيكون ذلك حقدًا له في قلبه على مَنْ سبقه عليها، ولو كان أباه الذي رباه.

ولهذه العلة حرَّم الله تعالى نكاحَ زَوْجَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه إيذاء للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد موته؛ ولأنهن أمهات للمؤمنين؛ ولأنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بمثابة الوالدِ للمؤمنين؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ».[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٢

٢ – سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٣٢

٣ – رواه أبو داود– كِتَاب الطَّهَارَةِ، بَابُ كَرَاهِيَةِ اسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ عِنْدَ قَضَاءِ الْحَاجَةِ، حديث رقم: ٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ستُقْتَلَعُ المحبةُ من جُذُورِها ويشبُّ أوارُ العداوةِ في قلبيهما

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ.....وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ﴾، وهو يعدِّدُ أصناف المحرمات من النساء!

وتأمل لِمَ حرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الجمعَ بين الأختينِ؟

وانظر إلى رحمة الله تبارك وتعالى بعبادهِ وإلى إحسانِهِ إليهم!

لَمَّا جُبِلَ الإنسانُ على الشُّحِّ، وطُبِعَ على الاستئثارِ، والمرأةُ بطبيعتها لا تحب أن يشاركها في زوجها أحدٌ، فمن شاركها فيه نابذته العداء، ونال من البغض نصيبًا موفورًا بسبب غيرتها، حرَّمَ الله تعالى الجمع بين الأختين لهذه العلة، فتلك المحبة التي ترعرعت في قلبيهما، حتى أورقت وأثمرت وأينعت، وضربت بجذورها في أعماقهما، ستُقْتَلَعُ من جذورها عند اقتران الزوج بهما، وينقلب الحبُّ بغضًا، والولاءُ عداوةً يشبُّ أوارُها في قلبيهما كل حين.

ولا تسمع لخلاف ذلك (فليس الخبر كالمعاينة)، ولهذا تعجب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من أم حبيبة حين سألته أن يتزوج أختها، فعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ لَهُ: هَلْ لَكَ فِي أُخْتِي بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ؟ فَقَالَ: «أَفْعَلُ مَاذَا؟» قُلْتُ: تَنْكِحُهَا، قَالَ: «أَوَ تُحِبِّينَ ذَلِكِ؟» قُلْتُ: لَسْتُ لَكَ بِمُخْلِيَةٍ، وَأَحَبُّ مَنْ شَرِكَنِي فِي الْخَيْرِ أُخْتِي، قَالَ: «فَإِنَّهَا لَا تَحِلُّ لِي».[2]

وسُؤالُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَ تُحِبِّينَ ذَلِكِ؟»، تعجبًا من حال أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ لأنه خلاف الأصل.

فمنع الله تعالى الجمع بين الزوجين لبقاء الودِّ بينهما، ومفسدة التباغض بين الأختين أعظم من مصلحة الزواج بهذه الأخت على وجه الخصوص.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٣

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الرَّضَاعِ، بَابُ تَحْرِيمِ الرَّبِيبَةِ، وَأُخْتِ الْمَرْأَةِ، حديث رقم: ١٤٤٩

وأمَّا إباحة الشرع لتعدد الزوجات على ما يكون بينهم من التحاسد والتباغض، فلأنَّ المصلحة في تشريعه أعظم بكثير من تلك المفسدة، والشريعة إنما أتت بجلب المصالح وتكميلها، ودرأ المفاسد وتقليلها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إياك أن تظن أن الله تعالى ضَيَّقَ عليك واسعًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ.....﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكُمْ﴾، بعد تحريم تلك الأصناف المذكورة لتعلم أن دائرة الحلال أوسعُ بكثير جدًا من دائرة الحرام!

وأظهر من هذا أنَّ الحصرَ دائمًا يفيد القلة، ومثال ذلك ما ثبت عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مَا يَلْبَسُ المحْرِمُ مِنَ الثِّيَابِ؟ فَقَالَ: «لاَ يَلْبَسِ القَمِيصَ، وَلاَ العَمَائِمَ، وَلاَ السَّرَاوِيلاَتِ، وَلاَ البُرْنُسَ، وَلاَ ثَوْبًا مَسَّهُ زَعْفَرَانٌ، وَلاَ وَرْسٌ، وَإِنْ لَمْ يَجِدْ نَعْلَيْنِ فَلْيَلْبَسِ الخُفَّيْنِ وَلْيَقْطَعْهُمَا حَتَّى يَكُونَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ».[2]

فحصر المحرماتِ في هاتين الآيتين يفيدُ أنها قليلةٌ وأنها محدودةٌ، فإياك أن تظن أن الله تعالى ضَيَّقَ عليك واسعًا.

لذلك لا تتعجب إذا رأيت شدةً في العقوبةِ على مَنْ ترك الحلال الواسع، وولغ في الحرام الضيق؛ فعَنْ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: مَرَّ بِي خَالِي أَبُو بُرْدَةَ بْنُ نِيَارٍ وَمَعَهُ لِوَاءٌ، فَقُلْتُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: «بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ أَنْ آتِيَهُ بِرَأْسِهِ».[3]

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٢٤

٢ – رواه البخاري–كتَابُ جَزَاءِ الصَّيْدِ، بَابُ لُبْسِ الخُفَّيْنِ لِلْمُحْرِمِ إِذَا لَمْ يَجِدِ النَّعْلَيْنِ، حديث رقم: ١٨٤٢، ومسلم–كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ مَا يُبَاحُ لِلْمُحْرِمِ بِحَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، وَمَا لَا يُبَاحُ وَبَيَانِ تَحْرِيمِ الطِّيبِ عَلَيْهِ، حديث رقم: ١١٧٧

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٨٦٢٦، والترمذي– أَبْوَابُ الْأَحْكَامِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ فِيمَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ، حديث رقم: ١٣٦٢، والنسائي–كِتَابُ النِّكَاحِ، نِكَاحُ مَا نَكَحَ الْآبَاءُ، حديث رقم: ٣٣٣١، وابن ماجه–كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ مَنْ تَزَوَّجَ امْرَأَةَ أَبِيهِ مِنْ بَعْدِهِ، حديث رقم: ٢٦٠٧، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليس كل رضى بين طرفين يكون مباحًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ﴾، لتعلم أنَّ الرضى يفتقر إلى إذن الشارع ولو كان بين الزوجين.

وليس كل رضى بين طرفين يكون مباحًا في الشرع، فقد يرضى الطرفان، ويسخط الرحمن تعالى لاتفاقهما على الحرام، ورضاهما به، وصور ذلك الرضى الذي لا يقيم له الشرع وزنًا أكثر من أن تحصى، ويكفي في التدليل على ذلك الربا يكون بين الدائن والمدين وكلاهما راضٍ وهو من الموبقات، والزنا يكون بين اثنين وكلاهما راضٍ وهو من الكبائر.

ومن الرضى الذي لا اعتبار له، ولا يقيم له الشارع وزنًا، أن يتراضى رجل وامرأة على الزواج بلا ولي، وهو من أقبح القبائح، وأعظم الذنوب؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ».[2]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ، وَلَا تُزَوِّجُ الْمَرْأَةُ نَفْسَهَا، فَإِنَّ الزَّانِيَةَ هِيَ الَّتِي تُزَوِّجُ نَفْسَهَا».[3]

والتراضي هنا أن يزيد الزوج امرأته على ما فرض لها من المهرِ إكرامًا لها، وأن تضع المرأة عن زوجها من المهرِ تقديرًا له، فلا جناح عليهما فيما تراضيا به من الزيادة والنقصان.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٤

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٩٧٤٦، وأبو داود– كِتَاب النِّكَاحِ، بَابٌ فِي الْوَلِيِّ، حديث رقم: ٢٠٨٥، والترمذي– أَبْوَابُ النِّكَاحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، حديث رقم: ١١٠١، وابن ماجه– كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، حديث رقم: ١٨٨١، بسند صحيح

٣ – رواه ابن ماجه– كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ، حديث رقم: ١٨٨٢، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الرضى المأذون فيه أن ترضى المرأة بأقل من مهر المثلِ، بل ترضى بما لا ترضى به أغلب النساء عادةً؛ فعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنِي فَزَارَةَ تَزَوَّجَتْ عَلَى نَعْلَيْنِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَرَضِيتِ مِنْ نَفْسِكِ وَمَالِكِ بِنَعْلَيْنِ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: فَأَجَازَهُ.[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٥٦٧٩، والترمذي- أَبْوَابُ النِّكَاحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي مُهُورِ النِّسَاءِ، حديث رقم: ١١١٣، وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كن عالي الهمة ولا تقنع بما دون النجوم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ....﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا....﴾، لتعلم أن علو الهمة، وطلب الرفعة من المقاصد العظيمة لهذا الدين!

فكما لا يستوي شرعًا وعقلًا زواج الأمةِ والحرةِ، لا تستوي سفاسف الأمور ومعاليها شرعًا وعقلًا، وأين الثرى من الثريا؟

وما أشبه الذي يؤثر الزواج من أَمَةٍ مملوكةٍ وهو قادرٌ على الزوجِ من حرةٍ ببني إسرائيل الذين قال الله تعالى في حقهم على لسان نبيهم موسى: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾.[2]

وقد أرشدنا الله تعالى في كتابه لمعالي الأمورِ ورغَّبَنَا في مكارِمِهَا؛ كما في هذه الآية وغيرها.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأُمُورِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا».[3]

فكن عالي الهمة كريم النفس، لا ترض لها بالدون، ولا تقنع بما دون النجوم.

وما أحسنَ قول المتنبي:

عَلى قَدرِ أَهلِ العَزمِ تَأتي العَزائِمُ ***** وَتَأتي عَلى قَدرِ الكِرامِ المكارِمُ

وَتَعظُمُ في عَينِ الصَغيرِ صِغارُها ***** وَتَصغُرُ في عَينِ العَظيمِ العَظائِمُ

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٥

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٦١

٣ - رواه الحاكم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ١٥٢، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٥٩٢٨، والأوسط- حديث رقم: ٢٩٤٠، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال:

إذا غـــــامرْتَ فى شَـــــرَفٍ مَـــــرُومِ ***** فَـــلَا تَقْنَـــعْ بِمَـــا دون النُّجـــومِ

وقال غيره:

إذا مـا بـذلت الـروح في طلـب العـلا ***** فـــأدنى مَـــرَاقٍ أرتقيهـــا الفراقـــدُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لتعلم ما تتسم به الشريعة الغراء من الرحمة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ....﴾.[1]

تأملْ قَوْلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ....﴾؛ لتعلم ما تتسم به الشريعة الغراء من الرحمة.

يأمرنا الله تعالى بإقامة الحدِّ على الأمة إذا زنت وكانت متزوجة، والأمة ضعيفة بطبيعتها، عرضة للإهانة وجرأة الفساق، ما اعتادت أنْ تأنفَ الضيمَ، وترفعَ الرأسَ، وتشمخَ بالأنفِ.

تحتوشها نوازعُ الإثم، فلا أهلَ لها ولا عشيرةَ لتراعي لهم حرمةً، ولا تخشى مسبةً وعارًا، فهي أمْةٌ ليست إلا سلعةً تباع وتشترى.

فليس لها وازع يمنعها من ارتكاب الحرام إلا الدِّين، وهو شيءٌ من جملة أشياء تحول بين المرء وارتكاب الحرام.

ومنها الحرية، والحرة عندها من الأنفة والبعد عن ارتكاب ما يشين، ومراعاة حرمة الأهل والعشيرة ما ليس عند الأمة؛ ألم تقل هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ امْرَأَةُ أَبِي سُفْيَانَ، لرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمّا أَخَذَ عَلَيْهِنّ العهدَ أَلَّا يَزْنِينَ: (وَهَلْ تَزْنِي الْحُرَّةُ يَا رَسُولَ اللهِ)؟

ومنها الحياءُ، وأنَّ لها الحياء وهي سلعةٌ تقلبها الأيدي، وتتفرَّسُها الأعينُ النواظرُ، وتُتَدَاولُ بين الملاك والسادةِ؟

ولما كان العبيد بهذا الضعف وتلك المهانة، جعل الله تعالى على من وقع منهم في الفاحشة نصف مع على الأحرار؛ رحمة بهم، ومراعاة لهم.

تلك شريعة الله رحمة كلها وعدل كلها، ومع ما تتسم به من الرحمة والعدل، فيها من الحزم ما يحول بين الناس والفساد، وأعظم من هذا أنها تربط العبد بآخرته في كل حركة وسكنة،

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٢٥

وأعظم من هذا وذاك تجعل العبد في مراقبة دائمة لخالقه، خوفًا أن يراه حيث نهاه أو يفتقده حيث أمره.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إياك أن تكون دنيء الهمةِ، ساقط العزيمة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾، يعني عن نكاح الإماء، مع خشية العنت!

وما ذلك إلا لما يريده الله تعالى بعباده من الرفعة، والكرامة، وعلو الهمة.

فإنَّ من تزوج أمةً صار أولاده منها عبيدًا، وكان لهم من الضعةِ والمهانة نصيبًا، ومن الذلِّ والضعفِ حظًّا موفورًا.

وأَنَّى لمثل هؤلاء النجابةُ؟

ومن أين يأتيهم الشرفُ؟ وكيف تكون لهم الأنفةُ وهم يرسفون في أغلالِ الرقِّ، ويطوق أعناقهم قيد العبودية؟

وأَنَّى لهم النبوغُ وهو سلعةٌ تباع وتشترى، ولا يملك من أمره نقيرًا؟

وإنما يريد الله تعالى للمؤمنين الكرامة في الدنيا والرفعة الآخرة؛ فعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ» قَالُوا: وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ: «يَتَعَرَّضُ مِنَ البَلَاءِ لِمَا لَا يُطِيقُ».[2]

وإياك أن تكون دنيء الهمةِ، ساقط العزيمة، ضعيف الإرادة، وكن رجلًا همته المعالي، يسامي الثريا؛ فما أجمَلَ قول القائل:

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ العَزْمِ تَأْتِي العَزَائِمُ ***** وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الكِرَامِ المكَارِمُ

وَتَعْظُمُ فِي عَيْنِ الصَّغِيرِ صِغَارُها ***** وَتَصْغُرُ فِي عَيْنِ العَظِيمِ العَظَائِمُ

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٥

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الْفِتَنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٢٥٤، وابن ماجه– كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ﴾ [المائدة: ١٠٥]، حديث رقم: ٤٠١٦، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأنها مصدر قوة المسلمين، وسبب رقيهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ.....﴾، وانظر إلى حال أولئك الذين يستنكفون من تطبيق أحكام الشرع، ويعارضونها أشد المعارضة، ويحاربون بكل ما أوتوا من قوة للحيلولة دون تحكيمها في واقع الناس وحياتهم!

ولتفهم تلك المعضلة، أعني أنها أحكام شرعية أنزلها الله تعالى في كتابه وشرعها على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، لتكون دستورًا للناس، ونبراسًا ينير دياجير الظلمات التي تتخبط فيها البشرية، وسبيلًا لبلوغ مرضاة الله سلكه السابقون من الأنبياء والرسل، وسببًا للتوبة من الآثام، وتطهيرًا للنفوس من أدرانها، ومع ذلك تلقى تلك المعارضة الشديدة من قطاع عريض ممن ينتسبون للإسلام، أقول لتفهم ذلك يجب عليك أن تعلم أنَّ النَّاسَ أصنافٌ ثلاثةٌ لا رابعَ لهم: مؤمنون، ومنافقون وكفار.

أقل هؤلاء الأصناف عددًا هم المؤمنون؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، وأكثرهم الكفار؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الْأَنْعَامِ: ١١٦]، ووينضوي تحت تلك الكثرة الكفار على اختلاف مللهم وتباين نحلهم، والمنافقون الذين يظهرون الإسلام مكرًا وخداعًا، ويبطنون الكفر دينًا واعتقادًا.

فأمَّا الكفار فهم أحرص الناس على تنحية الشريعة جانبًا عن حياة المسلمين، لعلمهم أنها مصدر قوة المسلمين، وسبب رقيهم وتقدمهم، والشواهد على ذلك من تاريخ المسلمين كثيرة جدًا، فلا يتورعون عن الشجب والاستنكار، والمعارضة بكل سبيل، لكل من ينادي بتطبيق أحكام الشرع في بلاد المسلمين، بل يصل الأمر إذا جد الجد إلى التهديد بالحرب، ففي

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٦

تسعينيات القرن الماضي حين وصل الإسلاميون إلى الحكم في الجزائر، هددت فرنسا بالتدخل عسكريًا حتى لا تسود أحكام الإسلام على أرض المسلمين.

وتتقاطع مصالح المنافقين الذين يستميتون لمنع تطبيق الشريعة مع هؤلاء الكفار لبغضهم لشرع الله تعالى؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، فكيف ترجو ممن كَرِهُوا مَا أَنزلَ اللَّهُ أن تطيب نفوسهم بالاحتكام إلى شريعته؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يريدون مَيْلًا لا استقامةَ معه، وسقوطًا لا نهوضَ بعده.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.[1]

تأمل حال أولئك الذين ينازعون الله تعالى في سلطانه، ويسعون جاهدين لنشر الفواحش بين العبادِ، بعد أن غرقوا هم فيها!

يعلمون أنَّ الله تعالى ينهى عن الفحشاء والمنكر، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ﴾ [النَّحْلِ: ٩٠]، ومع ذلك يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، ويقتفون آثارها، ويركبون في سبيل تحصيلها الصعب والذلول، ولا يقف بهم الحال عند هذا الحدِّ بل يحرصون على نشرها بين الصالحين بكل سبيل، ويزينونها بكل وسيلة.

وما مثل هؤلاء الغارقين في الفواحش، الذين يحبون إشاعتها بين المؤمنين إلا كمثل القائل: (ودت الزانية لو زنت النساء).

وهؤلاء الذين هذه صفاتهم وكلاء للشيطان وهم جنوده الذين يمتثلون أوامره ويطيعونه طاعة مطلقة؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [البقرة: ٢٦٨]، بل هم أنفسهم شياطين بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، وليس في الكلام أدنى مبالغة؛ أليس قد قال الله تعالى: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الْأَنْعَامِ: ١١٢]، فمن البشر شياطين لا يقلون عتوًا وتمردًا عن أوامر الله تعالى من شياطين الجن.

ثم تأمل غايتهم التي يسعون لتحقيقها!

---

[1] - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٧

لا يكتفون بمجرد الانحراف عن الجادة، بل يريدون مَيْلًا عظيمًا لا استقامةَ معه، وسقوطًا لا نهوضَ بعده.

فاحذروا يا عباد الله شياطين الإنس وإن تكلموا بألسنتكم، وتزيوا بأزيائكم، وزعموا أنهم يريدون الخير لكم، فكم من مريد للخير لا يبلغه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

انظر إلى آثار رحمة الله تعالى في تشريعه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾.[1]

تأمل وصف الله تعالى للإنسان بالضعف، بعد إخباره تعالى بأنه يريد أن يخفف عن عباده لتعلم أن علة التخفيف هي ضعف بني آدم.

وصور ضعف الإنسان كثيرة جدًا؛ فهو ضعيف العزم؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾.[2]

ومن ضعف العزم: ضعف العباد في امتثال أوامر الشرع، ومن رحمة الله بالعباد أن كلَ أمر لله تعالى ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يصاحبه تخفيف قبل متثال الفعل وتخفيف أثناء الفعل وتخفيف بعد الفعل.

ومن تخفيف الله تعالى على العباد في الصلاة إيجاب الصلاة على المؤمنين خمس صلوات في اليوم والليلة وكان مبدأ فرضها خمسين صلاةً؛ وقد قال الله تعالى: «إِنِّي قَدْ أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي».[3]

ومن تخفيف الله تعالى على العباد في الصيام تخصيص المؤمنين بالذكر عند تشريعه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾، وتخفيف بالتأسي: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وتخفيف بذكر علة التشريع: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، [البقرة: ١٨٣]، وتخفيف بذكر القدر: ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾.[4]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٨

٢ – سورة طه: الآية/ ١١٥

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، بَابُ ذِكْرِ الْمَلَائِكَةِ، حديث رقم: ٣٢٠٧

٤ – سورة البقرة: الآية/ ١٨٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتخفيف بذكر الأجر؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ، إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ».[1]

وتخفيف بالثناء على امتثال؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصَّوْمَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ».[2]

فانظر يا عبد الله إلى آثار رحمة الله تعالى بالعباد في تشريعه، لتعلم حفظ الشرع لدين العباد ونفوسهم، وعقولهم، وأموالهم، ونسلهم، وأعراضهم، ولا قوام للعباد إلا بحفظها مجتمعةً، ولا سبيل للمحافظة عليها إلا بتطبيق شرع الله تعالى الذي أتى بجلب كل مصلحة، ودرءِ كل مفسدة.

١ - رواه البخاري-كتَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، بَابُ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، حديث رقم: ٢٠١٤، ومسلم- كتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي قِيَامِ رَمَضَانَ، وَهُوَ التَّرَاوِيحُ، حديث رقم: ٦٧٠

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الصَّوْمِ، بَابٌ: هَلْ يَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ إِذَا شُتِمَ، حديث رقم: ١٩٠٤، ومسلم- كِتَابُ الصِّيَامِ، بَابُ فَضْلِ الصِّيَامِ، حديث رقم: ١١٥١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أكلُ أموال الناس بالباطل مهنةٌ يمتهنها كثيرُ من الناس

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾، وكيف قدَّم الله تعالى النهي عن أكل الأموال في الذكر عن النهي عن القتلِ، ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، مع أنَّ جرم القتل أبشعُ، وعاقبة القاتلِ أشنعُ في الدنيا والآخر!

والحكمة من تقديم النهي عن أكل الأموال على النهي عن القتل استهانةُ كثيرٍ من النَّاسِ بأكلِ الحرامِ، واستحلالِ طائفةٍ منهم أموالَ الغيرِ بغيرِ حقٍّ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ».[2]

ومنها كذلك ظنُّ كثير من الناس أنَّ الاستغفار يكفي للتحلل من مظالم الأموال، وأن الاستقامةَ بعد هضم الحقوق سببٌ للإفلات من العقاب يوم التلاق؛ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ».[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٩

٢ – رواه مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨١

٣ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ، حديث رقم: ١٣٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومنها أنَّ أكل أموال الناس بالباطل مهنةٌ يمتهنها كثيرٌ من الناس منذ القدم حتى الأحبار والرهبان؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾. [التَّوبة: ٣٥]، وقد ازداد الأمر سوءًا لا سيما في زماننا هذا.

ومنها أنَّ الاستيلاء على الأموال قد يكون في كثير من الحالات سببًا للقتلِ؛ لأنَّ المال لما كان قوام الحياة، كان سلبه سلبًا للحياة؛ لذلك حين ييأس المظلوم من استرداد حقه، يلجأ للقتل انتقامًا، فكان سلب الأموال سببًا للقتل، والسببُ (أكل الأموال) مُقَدَمٌ لا محالة.

ومنها كبح جماح أهل الفسادِ، ودفع شرورهم، والحد من شراهة حب تملك ما لا يحق تملكه؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَدَّى اللَّهُ عَنْهُ، وَمَنْ أَخَذَ يُرِيدُ إِتْلاَفَهَا أَتْلَفَهُ اللَّهُ».[1]

١ - رواه البخاري- كِتَاب فِي الِاسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ، بَابُ مَنْ أَخَذَ أَمْوَالَ النَّاسِ يُرِيدُ أَدَاءَهَا أَوْ إِتْلاَفَهَا، حديث رقم: ٢٣٨٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مفهوم يجب أن يترسخ عند كل مسلم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، وهو ينهى أن يقتل بعض المؤمنين بعضًا!

وهذا بيان منه تعالى بأنَّ المؤمنين أمةٌ واحدةٌ بعضهم من بعض؛ كالجسدِ الواحدِ تمامًا، تألم الأمة لألم أحدِ أفرادها، وتحزن لحزنه، وتهتم لأمره ولو كان في أقصى الأرض.

وهذا المفهوم يجب أن يترسخ عند كل فرد من أفراد هذه الأمة، وإلا كان الانتماء لهذه الأمة مجرد دعوى تفتقر إلى الدليل، لمن لا يهتم لأمر هذه الأمة.

وقد غرس الله تعالى هذا المعنى في نفوس المؤمنين بعدة آيات منها هذه الآية التي نحن بصددها، حيث جعل القاتل قتيلًا بقتله لأخيه، بمثابة من قتل نفسه.

ومنها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، أي: لْيُسَلِّمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ.

وقد بين رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا المعنى أَتَمَّ بيانٍ؛ فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى».[2]

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُونَ تَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ».[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٢٩

٢ – رواه مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَرَاحُمِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَعَاطُفِهِمْ وَتَعَاضُدِهِمْ، حديث رقم: ٢٥٨٦

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ٩٩١، والنسائي– كِتَابُ الْقَسَامَةِ، بَابُ الْقَوَدِ بَيْنَ الْأَحْرَارِ وَالْمَمَالِيكِ فِي النَّفْسِ، حديث رقم: ٤٧٣٥، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأمَّا من لا يهتم بأمر المسلمين فليراجع إيمانه، فإن في إيمانه خللًا؛ عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَهْتَمَّ بِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ، وَمَنْ لَمْ يُصْبِحْ وَيُمْسِ نَاصِحًا لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِكِتَابِهِ ولِإِمَامِهِ ولِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنْهُمْ».[1]

١ - رواه الطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٧٣٧٤، والصغير- حديث رقم: ٩٠٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لولاهما لطاشت العقول وذهلت، وذابت القلوب غمًّا وذبلت

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى لمن أكل أموال الناس بالباطل، وقتل نفسًا معصومة: ﴿فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا﴾، وهي كلمة على وجازتها تحمل معانٍ هائلةً، تنوء بالجبال الرواسي.

ويكفي أن تطلق لخيالك العنان لبرهة لتدرك ما في الصلي (وهو شي الجسد بالنار) من بشاعة المنظر ما لا تطاق رؤيته، فضلًا عن الشعور به، ولا يكون ذلك الشي بالنار التي يعهدها الناس – وإن كانت لكافية – ولكنها نار تصهر الحديد وتذيب الصخر، لذا ورد ذكرها نكرة، أي: فسوف نصليه نارًا وأيُ نارٍ!

فإذا كان ذلك العقاب، الذي تقشعر من هول سماعه الأبدان، وتشيب له رؤوس الولدان، فلا بد أن يكون الجرم على درجة عالية من البشاعة ليناسبه ذلك العقاب.

أما أكل أموال الناس بالباطل، فذبح لهم بغير سكين؛ لأن المال قوم الحياة.

وأما القتل فمن البشاعة بمكان، حتى إنه ليعجز عن وصف شناعته البيان.

ولأن الخطب جسيم، والعقاب عظيم لا يتحمله قلب سليم، قدَّم الله تعالى عليه في الذكر وصفين لا يهلك على الله إلا من اتصف بهما، لولا ذكرهما لطاشت العقول وذهلت، وذابت القلوب غمًّا وذبلت؛ ﴿عُدْوَانًا وَظُلْمًا﴾، فكم من أناس تقطعت أوصال المودة بينهم لخلافات مالية!

وكم من أناس وقع منهم القتل خطأً بغير قصد!

فتداركتهم رحمة الله بهذا القيد، وفك عنهم به قيد الغم.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هنا تتجلى رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾.[1]

لا يسلم العباد من هناتٍ تعرض لهم، وسيئاتٍ يقترفونها، وأخطاءٍ يرتكبونها، لكونهم بشرًا، وليسوا معصومين، وربهم تبارك وتعالى يعلم حالهم، ويرحم ضعفهم، ويقيلُ عثرتهم، إذا علم خشيتهم منه، ورأى توقيرهم لأمره، وتوقيهم لأسباب سخطه، بالبعد عن محارمه، واجتنابهم كبائر الإثم.

وهنا تتجلى رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ﴾ [فَاطِرٍ: ٤٥]، ولكن يعفو ويصفح لعظيم كرمه، ووافر فضله، وعظيم إنعامه، لعلمه بضعف خلقه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».[2]

مـــن ذا الـــذي مـــا ســـاء قـــطّ ***** ومـــن لـــه الحســـنى فقـــط؟

فإذا كان هذا إحسان الكريم لك، ولطفه بك، ورحمته إياك، ألا يدعوك ذلك إلى مراعاة نظره إليك فلا يراك حيث نهاك، ولا يفتقدك حيث أمرك، وألا تجعله أهون الناظرين إليك.

هـــب البعـــثَ لم تأتنـــا رسُـــلُه ***** وجَاحِمَـــةُ النـــار لم تُضْـــرِمِ

ألـــيس مـــن الواجـــب الْمُسْتـــ ***** ـحِـقِّ حيـاءُ العبـادِ مـن المـنْعِمِ؟

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣١

٢ – رواه مسلم– كتاب التوبة، بَابُ سُقُوطِ الذُّنُوبِ بِالِاسْتِغْفَارِ تَوْبَةً، حديث رقم: ٢٧٤٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد حذرنا المعصوم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الاستهانة بالصغائر؛ نْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَا عَائِشَةُ، إِيَّاكِ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّ لَهَا مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ طَالِبًا".[1]

وقيل: لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى من عصيت!

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٤٤١٥، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أقبح الناس حالًا، وشرهم عاقبةً ومآلًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، وتأمل حالَ كثير من الناس الذين لا يرتضون قسمة الله تعالى، فهذه تريد أن تكون رجلًا، وهذا يريد أن يكون امرأة، وبعضهن يعترضن على أحكام الله تعالى التي أنزلها في كتابه، وشرعها على لسان رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأحكام الميراث، وتولي الولايات العامة، وغيرها من أحكام الشرع التي فضل الله تعالى بها بعض الجنسين على الآخر.

ولا يدرك هؤلاء أن الاعتراض على أحكام الله تعالى قدح في حكمته، وردٌّ لأمره، وطعنٌ في حكمه، وتنكب لصراطه المستقيم، ومشاقة لدينه القويم، ومحاربة لرسوله الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وكيف يدعي الإسلام، من لا يرضى بأحكامه، ويذعن له إذعانًا، ويسلم له تسليمًا؟ ولا تثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم.

وأقبح الناس حالًا، وشرهم عاقبةً ومآلًا، من خلقه الله تعالى من العدم، وأسبغ عليه صنوف النعم، وشقَّ له السمع والبصر، وفضله بالنطقِ والفكر، ثم يعلن تمرده على خالقه، باعتراضه على خلقته، أليس ذلك أهلًا للطرد من رحمته؟ وأولى بالحرمان من فضله؟

بلى. هم أولى الناس بالحرمان، وأبعدهم عن الرحمة والرضون؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ».[2]

هل أدركت خطر تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض؟

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣٢

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ اللِّبَاسِ، بَابٌ: المُتَشَبِّهُونَ بِالنِّسَاءِ، وَالمُتَشَبِّهَاتُ بِالرِّجَالِ، حديث رقم: ٥٨٨٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولو ظهر هذا التمنى في أدنى صورة، وأقل حالة، بل لو ظهر ذلك في اللباس؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الرَّجُلَ يَلْبَسُ لِبْسَةَ الْمَرْأَةِ، وَالْمَرْأَةَ تَلْبَسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ».[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٨٣٠٩، وأبو داود- كِتَاب اللِّبَاسِ، بَابٌ فِي لِبَاسِ النِّسَاءِ، حديث رقم: ٤٠٩٨، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رؤوس أموال المفاليس

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾، ثم تعجب من حال كثير من الناس الذين لا يسألون الله تعالى، وتعجب من حال من لا يحسنون سؤال الله تعالى!

وتخيل لو قال إنسان غني على درجة عالية من الثراء، وقد عرف بالجود والبذل والسخاء – ولله المثل الأعلى – لو قال لإنسانٍ سلني ما شئت أعطيكه بلا مِنَّةٍ ولا تَبعةٍ. أيتوانى عن طلب مبتغاه، ويتكاسل على تحصيل مراده؟

فكيف إذا قال الله تعالى ذلك لعباده وخزائنه ملئ لا تنفد، ويداه مبسوطتان بالعطاء، لا تغيضها نفقه؟ قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ».[2]

وهو تعالى يحب أن يُسأل، بل يغضبُ تعالى على مَنْ أظهر الغنى عنه؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ».[3]

وكيف لا يغضب على من لا يسأله والدعاء عبادة، عَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ».[4]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣٢

٢ – رواه مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٧٧

٣ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب مِنْهُ، حديث رقم: ٣٣٧٣، بسند حسن

٤ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٨٣٥٢، وأبو داود– كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابُ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ١٤٧٩، والترمذي– أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَاب مِنْهُ، حديث رقم: ٣٣٧٢، وابن ماجه– كِتَابُ الدُّعَاءِ، بَابُ فَضْلِ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ٣٨٢٨، بسند صحيح

فتأمل كيف أرشد الله تعالى عباده إلى سؤاله من فضله الواسع، مع عظيم إحسانه، وكمال غناه، ومنتهى فقرهم، مع نهيهم عن تمنى ما عند الغير، وهل المنى إلا رؤوس أموال المفاليس؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

احذر يا عبد الله من حقوق العباد فإن لها من الله طالبًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿فَآتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ﴾، وهو أمر بأداء الحقوق التي أوجبها الله تعالى، ثم تأمل كيف حذر الله تعالى من التفريط فيها فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾، يعني شهيدًا عليكم وعلى أقوالكم وأفعالكم ونياتكم.

ثم تأمل حال أولئك الذين لا يقيمون للحقوق وزنًا، ولا يعرفون لأصحابها حقًا، فيأكلون أموال اليتامى ظلمًا، ويقعون في الحرام قصدًا، ويتخوضون في مال الله عمدًا، ولا يراعون لله نظرًا، ولا يرجون له وقارًا، وليس استحلالهم للحرام بأعجب من استهانتهم بنظر الله تعالى إليهم.

ومن صور أكل الحرام الخوض في مال الله بغير حق؛ فعَنْ خَوْلَةَ الأَنْصَارِيَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ فِي مَالِ اللَّهِ بِغَيْرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ».[2]

ومنها أكل أموال اليتامى ظلمًا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾.[3]

ومنها هضم حقوق النساء والمستضعفين في الميراث؛ فقد أخبر المعصوم صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ السَّاعَةَ لَا تَقُومُ، حَتَّى لَا يُقْسَمَ مِيرَاثٌ، وَلَا يُفْرَحَ بِغَنِيمَةٍ".[4]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٣٣

٢ – رواه البخاري– بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ﴾ [الأنفال: ٤١]، حديث رقم: ٣١١٨

٣ – سورة النِّسَاءِ: الآية/ ١٠

٤ – رواه مسلم– كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ إِقْبَالِ الرُّومِ فِي كَثْرَةِ الْقَتْلِ عِنْدَ خُرُوجِ الدَّجَّالِ، حديث رقم: ٢٨٩٩، عَبْدَ اللهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، موقوفًا وله حكم الرفع، والطبراني– حديث رقم: ٩٥٣، عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومنها الاستهانة بحقوق العباد ولو يسيرة؛ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ».[1]

فاحذر يا عبد الله من حقوق العباد فإن لها من الله طالبًا.

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ، حديث رقم: ١٣٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القوامة لها لوازم لا تتحقق إلا بها

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ.....﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ.....﴾، ثم تعجب من حال كثير من النساء اللآتي تأبين تلك القوامة، ولا ترضى إحداهن إلا أن تكون مستقلةً في كل شيءٍ، ولا ترضي للرجل أن يكون قَيِّمًا عليها ولو كان أبًا، أو زوجًا، وتأبى إلا أن تخوض غمار الحياةِ منفردةً، وحيدةً، ولا تستفيق إلا في وهدة عميقة لتكتشف أنها سقطت فيها وسقط معها دينها وشرفها وكرامتها، أو هوة سحيقة لا مخرج لها منها.

وتعجب لحال كثير من الرجال الذين يظنون أن القوامةَ مجرد وسام شرف، يعلقه الرجل على صدره، ويلوح به بين الفينة والفينة لتلك المرأة التي استأمنه الشرع عليها.

ونسي أو تناسى أن القوامة لها لوازم لا تتحقق إلا بها، أجملها الله تعالى بقوله: ﴿بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾، فمن لوازمها أن يحمل أهله على طاعة الله تعالى، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، ويأمرهم بالصلاة ويصطبر عليها، ويأمرهم بالعفاف والمكارم ويحملهم عليها، ومن لوازمها أن يكون قدوة لهم في الخير والصلاح، وأنى تكون له القوامة وهو صفر اليدين من الخيرات، سباق إلى المنكرات، خاوي الوفاض من الصلاح، بشمٌ من الشر والفساد؟

وتعجب أكثر ممن يريد القوامة ولم ينفق فلسًا، والله تعالى يقول: ﴿وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، يريد من أهله الطاعة، والاستقامة على الجادة، وهم جوعى لا يجدون قوت يومهم، لبخله عليهم وتقتيره، وليته معسرًا لكان معذورًا، لكنه غنيٌّ موسرٌ، قد ألف الأخذ، وأنف البذل، وأنى لمثل هذا القوامة؟

لا تحسبِ المجدَ تمراً أنتَ آكِلُه ***** لن تبلُغَ المجدَ حتى تلعَقَ الصَّبِرا

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٣٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القوامة درجة للرجل لها مقومات، وليست مجرد شرف بالنوع، فإذا لم تتوفر مقوماتها، فهو تنازل عن القوامة، وتنازل عن الرجولة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العجب ممن تدعي الصلاح، وهي لا ترعى لزوجها حرمةً، ولا تعرف له حقًا!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾.[1]

تأمل قول اللهِ تَعَالَى: ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ﴾، لتعلم مقياس الصلاح الذي يجب أن تكون عليه المسلمة!

وأول مقياس للصلاح أن تكون المسلمة قانتةً، والقنوت هو الطاعة، والمراد بها هنا طاعة الزوج بعد طاعة الله تعالى.

ولو كانت المرأة صوامةً قوامةً عابدةً، ولكنها لا تعرف لزوجها حقًا، وليس له عندها إلا المخالفة، والنشوز، والعصيان، فليس لها من الصلاح حظ ولا نصيب.

نعم ليس لها حظ ولا نصيب من الصلاح، ولا تغني عنها عبادتها شيئًا؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، لَعَنَتْهَا المَلاَئِكَةُ حَتَّى تَرْجِعَ».[2]

وفي رواية: «مَا مِنَ امْرَأَةٍ يَطْلُبُ مِنْهَا زَوْجُهَا حَاجَةً، فَتَأْبَى فَيَبِيتُ، وَهُوَ عَلَيْهَا غَضْبَانُ إِلَّا بَاتَتْ تَلْعَنُهَا الْمَلَائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ».[3]

وَعَنْ حُصَيْنِ بْنِ مِحْصَنٍ، قَالَ: حَدَّثَتْنِي عَمَّتِي، قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي بَعْضِ الْحَاجَةِ، فَقَالَ: «أَيْ هَذِهِ أَذَاتُ بَعْلٍ أَنْتِ؟» قُلْتُ: نَعَمْ قَالَ: «كَيْفَ أَنْتِ لَهُ؟» قَالَتْ: مَا آلُوهُ إِلَّا مَا عَجَزْتُ عَنْهُ، قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ؟ فَإِنَّمَا هُوَ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ».[4]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٣٤

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ إِذَا بَاتَتِ المَرْأَةُ مُهَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا، حديث رقم: ٥١٩٤

٣ – رواه الطبراني في الأوسط– حديث رقم: ٨٠٧٢، بسند صحيح

٤ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٩٠٠٣، والحاكم–كِتَابُ النِّكَاحِ، حديث رقم: ٢٧٦٩، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمقياسُ الثَّانِي لصَلاحِهَا: أنْ تَحْفَظَ زَوْجَهَا فِي غَيْبَتِهِ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَمَالِهَا بِمَا يَكْرَهُ».[1]

فالعجب كل العجب ممن تدعي الصلاح، وهي لا ترعى لزوجها حرمةً، ولا تعرف له حقًا، ولا تطيع له أمرًا، ولا تقيم لغضبه وزنًا!

١ - رواه النسائي- كِتَاب النِّكَاحِ، أَيُّ النِّسَاءِ خَيْرٌ، حديث رقم: ٣٢٣١، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ضربك لامرأتك ليس دليلًا على رجولتك، فاتق الله فيها!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاللاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ.....﴾؛ لتعلم الحكمة البالغة لله تعالى في معالجة المشكلات الزوجية، وإياك أن تحملك العصبية على سوء الظن بالله تعالى أو القدح في شريعته الغراء.

وقبل أن نبين تلك الحكمة البالغة، يجب علينا أن نتذكر أن الله تعالى جعل القوامة للزوج، وأمر المرأة بطاعته، وبعض النساء قد تخالف لمجرد المخالفة، وتستنكف أن تكون تابعة للزوج، وربما ترى نفسها أولى بالقوامة منه، وأقدر على إدارة دفة البيت منه – مع عدم تقصيره – ولا شك أن هذه حال لا يستقيم معها عيش، ولا تستقر معها حياة.

ولابد من علاج ناجع، ودواء نافع لذلك الداء الذي لو تُرِكَ لاستفحل وأصاب الحياة الزوجية في مقتل.

ولما كانت النساء أصنافًا مختلفة، وأشكالًا متباينة، كان لابد لكل صنف من علاج يناسبه، ودواء يلائمه، فبعض النساء تبكي إذا وعظها الزوج وذكرها بالله تعالى، ولا تستطيع النوم إذا قال لها اتقي الله؛ فمثل هذه علاجها الوعظ والتذكير، ولا يحل للزوج إن يستعمل أكثر منه، فلا يحل له منها والحال هكذا الهجر ولا الضرب، وقد قيل:

ووضع السيف في موضع الندى مضرٌّ ***** كوضع الندي في موضع السيف

وبعض النساء لا يجدي معها التذكير بالله، ولا يؤثر فيها الوعظ، وإذا قيل لها: اتقي الله ازدادت غيًّا، وحسبت ذلك من الزوج ضعفًا، ومثل هذه يناسبها الهجر في الفراش، وننبه على أنه مجرد هجر في الفراش، وليس هجرًا من الفراش، ولا طردًا لها من البيت.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣٤

وهذا الصنف من النساء سرعان ما تثوب إلى رشدها، وترجع عن غيها إذا ولاها الزوج ظهره.

ولا يجوز للزوج أن ينتقل عن هذه المرحلة إلى الضرب إذا فاءت الزوجة لرشدها، ورجعت عن نشوزها.

وبعض النساء لا يؤثر فيها وعظ، ولا ينفع معها هجر، ولا تعرف قدر الزوج إلا إذا ضربها، عندها تعترف له بالفضل، وتستكين في نفسها، وعلى الزوج أن يعلم أنه ضربُ تأديبٍ وليس ضربَ تعذيبٍ - فلا يكسر عظمًا ولا يقطع جلدًا ولا يترك أثرًا — وعلى المرأة أن تعلم أنه وإن كان مؤلِمًا فهو آخر العلاج وآخر العلاج الكي.

وأهمس في أذن كل مسلمة: ماذا لو جعل الله تعالى الطلاقَ علاجًا النشوز ابتداءً؟

أما كانت ستقول كل امرأة لماذا بدأ بالطلاق؟ لماذا لم ينبهها على أخطائها؟ لو ضربها لكان أهون من تشريد الأولاد، وتشتيت الأسرة، وهدم البيت. أليس هذا الذي سيقال؟

وأخيرًا همسةٌ في أذن كل رجل: ضربك لامرأتك ليس دليلًا على رجولتك، فاتق الله فيها!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اعلم أن الله أقدر عليك منك عليها

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا﴾، لتعلم أن الغاية من تشريع الوعظ والهجر والضرب إنما هو التقويم فقط، فإذا ستقامت على الجادة فلا معنى للاستمرار على العقاب، واللجاج في الخصومة، واستمراء الضرب والتعدي بالسباب وسوء الألفاظ ولم يأمرنا الله تعالى بذلك شرعًا عند نشوزهن؛ فكيف لو رجعت إلى الطاعة وفاءت إلى الشرعِ؟

وتأمل قوله تعالى: ﴿فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلا﴾، وما يحمله هذا اللفظ من معانٍ جليلة، ومنها لا تطلبوا سبيلًا لتبرير ظلمكم، ولا تبحثوا عن علة لاستباحة ما حرمه الله تعالى من ظلمهن.

ثم تأمل قَولَه تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيرًا﴾، لترى تحذيرًا شديدًا للأزواج من مغبة الظلم، فالله تعالى أقدر على العباد منهم على من تحت أيديهم، وأكبر من كل كبير مهما تعاظم في نفسه؛ فعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ، أَبَا مَسْعُودٍ، لَلَّهُ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فَالْتَفَتُّ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ اللهِ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلَفَحَتْكَ النَّارُ».[2]

فليعلم كل زوج أن الله تعالى أقدر عليه منه على مَنْ ملكه الله أمرها، إذا جار عليها.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣٤

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ الْأَيْمَانِ، بَابُ صُحْبَةِ الْمَمَالِيكِ، وَكَفَّارَةِ مَنْ لَطَمَ عَبْدَهُ، حديث رقم: ١٦٥٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَشَوُّفُ الشَّرعِ للتَّوفيقِ والإِصْلاحِ، ورأبِ الصَّدْعِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، لتعلم تَشَوفَ الشَّرعِ للتوفيقِ بين الأزواجِ، ورأبِ الصدعِ، ولمِّ الشملِ، حين بلغ الشقاق بينهما مبلغًا تصدع به بنيان الأسرة، وانحلت فيها كل عروة!

وقد عالجَ نشوزَ الزَّوجةِ قبلها علاجًا ناجعًا، فَأمرَ مَنْ خَافَ مِنَ امْرَأَتِهِ نُشُوزًا أَنْ يَعِظَهَا، فَإِنْ أَنَابَتْ وَإِلَّا هَجَرَهَا فِي الْمَضْجَعِ، فَإِنِ ارْعَوَتْ وَإِلَّا ضَرَبَهَا.

فَإِنِ اسْتَمَرَّتْ المرأةُ فِي غَلْوَائِهَا، واستَمْرَأتْ نُشُوزَهَا وإِعْرَاضَهَا، حتى بادَلَهَا الزَّوجُ نفورًا بنفورٍ، وإِعْرَاضًا بإِعْرَاضٍ، بُعِثَ إِلَيْهِمَا حَكَمَانِ، فَيَنْظُرَانِ أَيُّهُمَا الْمُسِيءُ؛ لِيُصْلِحَا بَيْنَهُمَا.

ثم تأملْ كيفَ ندبَ اللهَ تعالى للإصلاحِ بين الزوجينِ فقالَ عن الحكمين: ﴿إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا﴾، يعني: إِنْ يُرِدِ الْحَكَمَانِ إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا، ولم يذكُرْ شأنَ الفُرْقَةِ؛ لما تقدم مِنْ تَشَوفِ الشَّرعِ للتَّوفيقِ والإِصْلاحِ، ورأبِ الصَّدعِ.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمر الله بإكرامهما غاية الإكرام، وحذر من إيذائهما ولو بأدنى كلمة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.[1]

تأمل كيف قرن الله تعالى برَّ الوالدين بالأمرِ بتوحيده وعبادته، لتعلم ما للوالدين من المنزلة عند الله، وما للبر من مكانة سامية في الشرع!

ومما يدلُّ على منزلة الوالدين عند الله أنه تعالى قرن برهما بتوحيده في عدة مواضع تنويهًا بفضلهما، وتنبيهًا على عظيم حقهما؛ ومن ذلك قَولُهُ تَعَالَى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾.[3]

لذا روي عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: ثلاث آيات مقرونات بثلاث، ولا تقبل واحدة بغير قرينتها:

قوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [التغابن:١٢]، فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه.

وقوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ﴾ [البقرة:٤٣]، فمن صلى ولم يزكِّ لم يقبل منه.

وقوله تعالى: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان:١٤]، فمن شكر لله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣٦

٢ - سُورَةُ لُقْمَانَ: الآية/ ١٤

٣ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقرن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رضى الله تعالى برضى الوالدين، وسخطه تعالى بسخطهما؛ لعظيم حقهما وسابق فضلهما؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «رِضَى الرَّبِّ فِي رِضَى الوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ».[1]

وأمر تعالى بإكرامهما غاية الإكرام، وحذر سبحانه من إيذائهما ولو بأدنى كلمة؛ فقال: ﴿إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾.[2]

ثم تأمل كيف أمر تعالى بالإحسان إليهما غاية الإحسان، بقوله: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، ولو كان يجزئ أي إحسان لقال: (وأحسنوا للوالدين)، ولكنه تعالى أراد غاية الإحسان وكماله، ولا يجزئ عند الله غيره، ولا يرضى تعالى من العبد سواه.

١ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ مِنَ الفَضْلِ فِي رِضَا الوَالِدَيْنِ، حديث رقم: ١٨٩٩، بسند صحيح

٢ – سورة الإسراء: الآية/ ٢٣، ٢٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ما أقبحَ الاستطالة بالقدرة!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾.[1]

تأمل تذييل الآية بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾، بعدَ الأَمْرِ بالإِحسَانِ إلى ذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ الأَيْمَانُ؛ لتعلم أنَّ ترك الإحسان إلى هؤلاء مع فقرهم وغناه، وضعفهم وقوته، وعجزهم وقدرته، من أقبحِ صورِ الاختيال، ومن أظهر صور الفخرِ!

وكثير ممن أنعم الله تعالى عليهم بالغنى يتفنن في كسر قلوب المساكين، ويتعمد إذلال اليتامي، بذكر ما أوتي من الغنى، وما حصل له من الثراء لا تحدثًا بعمة الله تعالى عليه، بل تعاليًا على العباد، وازدراءً لهم، فتراه يشمخ بأنفه، ويستعلي بماله، ويستقوي بجاهه على أولئك المستضعفين، وقد قيل: ما أقبحَ الاستطالة بالقدرة!

وربما ينشر صورته وهو يأكل طعامًا محلى ببرادة الذهب، أو يحرق قَدْرًا كبيرًا من المالِ سفاهةً، أو يضع على خوانه ما لذَّ وطاب، مما يكفي فئامًا من الناس، فيأكل إلى حد التخمة، ثم يرمي بالباقي في القمامة، ومن أقاربه من يبيت طاويًا، يتضور جوعًا.

أو يغسل يديه بدهن العودِ متباهيًا، وحوله ممن أسكن الجوع حركته، وحرك البرد بوادره فئام، ولا تجود نفسه ببذل، ولا تطيب لهم بفلس، أسوته قارون الذي جمع فأوعى، وسئل فأكدى، فلم يعرف للفضل سبيلًا، ولم تطرق له الفضائل بابًا.

ويظل أمثال هؤلاء في سكرتهم يعمهون، وفي غفلتهم ساهون، وفي غيهم سادرون، حتى تدور عليهم الدوائر، وتصيبهم سنة الله التي لا تتبدل، فيفتقروا بعد غنى، ويذلوا بعد عزٍّ، أو ينزل بساحتهم ما لا يستطيعون له دفعًا، ولا يجدون عنه ملجأً، يأتيهم الموت بكُرَبِهِ، فيغادر الدنيا صفر اليدين، قد ترك الدنيا وراء ظهره، فلا الحمد مكسوبًا ولا المال باقيًا.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٣٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْمُهِينُ للمَهِينِ، والجزاء من جنس العمل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.[1]

تأملْ قولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾؛ وتعجب كيف اجتمعت عندهم هذه الرذائل الثلاث!

الصفة الأولى: البخل، وهو من أقبح الصفات، بل هو أدوأ الداء؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سَيِّدُكُمْ يَا بَنِي سَلَمَةَ؟» قَالُوا: الْجَدُّ بْنُ قَيْسٍ إِلَّا أَنَّ فِيهِ بُخْلًا، قَالَ: «وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ، بَلْ سَيِّدُكُمْ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ».[2]

والصفة الثانية: من صفاتهم القبيحة أمرهم الناس بالبخل، بعض الناس لا يكتفي بالاتصاف بالقبائح بل يريد أن يتصف الناس بها كذلك، وهذه أقبح من سابقتها، فأقبح من البخل الشحُّ وهو أن يبخل الإنسان بمال غيره

والصفة الثالثة: جحود فضل الله تعالى وكتمانه، وهذه دركة متدنية من الضعة والمهانة وكفران النعمة، وهذه أقبح الثلاثة؛ لأنَّ فيها استطالةً على الله تعالى بكتمان فضله، وجحود خيره، ولهذه العلة قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ».[3]

ثم تأمل العلة التي من أجلها ذُيِّلَتْ الآية بقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾!

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣٧

٢ – رواه الحاكم– كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ذِكْرُ مَنَاقِبِ بِشْرِ بْنِ الْبَرَاءِ بْنِ مَعْرُورٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٤٩٦٥، بسند صحيح

٣ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الْأَدَبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ، حديث رقم: ٢٨١٩، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لما بلغوا هذه الدركة من المهانة ناسب أن يكون عذابهم مهينًا؛ فالْمُهِينُ للمَهِينِ؛ والجزاء من جنس العمل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رب قولِ معروفٍ خيرٍ من صدقةٍ وإن بلغت ما بلغتِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾، وكيف عطف الله تعالى الإنفاق مع الرياء، مع البخل والشُّحّ في قوله: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾؛ لتعلم أن الإنفاق مع الرياء أشدَّ قبحًا، وأعظم خطرًا على صاحبه من البخلِ والشُّحّ، ولم لا والرياء شرك أصغر؛ فَعَن مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ» قالول: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ».[2]

ومما يدل على خطر الرياء وقبحه أن الكلام في هذه الآية وسابقتها فيه ترقٍ من الأدنى للأعلى فبدأ بالأدنى الأقل خطرًا حتى انتهى إلى أعظمها خطرًا؛ فبدأ بالبخل: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ﴾، ثم الشح وهو أشد قبحًا من البخل: ﴿وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ﴾، ثم كتمان فضل الله تعالى: ﴿وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، ثم إنفاق المال رياءً وسمعة: ﴿وَالَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾.

أرأيت إلى خطر الصدقة الممزوجة بالرياء؟

رب قولِ معروفٍ خيرٍ من صدقةٍ وإن بلغت ما بلغتِ؛ ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى﴾ [البقرة: ٢٦٣]، بل لا قبول لها عند الله تعالى؛ تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾.[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣٨

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٣٦٣٠، بسند حسن

٣ – سورة البقرة: الآية/ ٢٦٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قرن نفسه بالشيطان ولازمه ملازمة الظل لصاحبه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا﴾، بعد قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ.....﴾ [النِّسَاءِ: ٣٨]، لتعلم أن من الناس من قرن نفسه بالشيطان عمدًا، ولازمه ملازمة الغريم لغريمه، والظل لصاحبه، لا يريد به بدلًا، ولا يبغي عنه حولًا، رَضِيَ فعلَه وقولَه وحالَه، يأتمر أمره، ويرعوي بزجره، يُقْدِمُ إذا أشارَ إليه، ويُحْجِمُ إذا نظر إليه، يخشى أسباب سخطه، ويسعى لمرضاته.

ثم يؤول الحال بعد أمد إلى أن يتكلم بلسان الشيطان، ويفعل فعله، ويسلك سبيله، ويدخل مدخله، حتى يكون ذلك الآدمي شيطانًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿شَيَاطِينَ الإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الْأَنْعَامِ: ١١٢]، بل ربما فاق في غيه مردة الشياطين، يقول بلسان حاله:

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى ***** بي الحال حتى صار إبليس من جندي

وإياك أن تظن أن في الكلام مبالغةً وتهويلًا، واحذر شياطين الإنس فقد أضلوا فئامًا، وعاثوا فسادًا، وضلوا ضلالًا بعيدًا.

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ». قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ».[2]

وإذا رأى إبلـــيس غـــرّة وجهـــه ***** حيّـا وقـال: فـديت مـن لا يفلـح

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٣٨

٢ – رواه مسلم– كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، حديث رقم: ٢٨١٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إلى أين يا مَنْ تُعْرِضُ عن رَبّكَ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ....﴾، تأمل تلك الكلمات الحانية التي يدعو الله تعالى بها عباده للإيمان به وهو الذي خلقهم، وبالإيمان باليوم الآخر الذي يرجعون فيه إلى الله ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته.

كلمات يلقيها في روع كل جامح، وتصك مسامع كل مُعْرِضٍ: (ما الذي يمنعك من الإيمان بربك الذي خلقك فسواك فعدلك)؟

وما الذي يضيرك من الإيمان به، وفي كل شيء له آيه تدل على أنه واحدُ؟

وما الذي يحول بينك وبين الإيمان به وأنت لا غنى لك عنه طرفة عين ولا أقل من ذلك؟

وما الذي يضيرك من الإيمان باليوم الآخر وأمل كل طائع أن يرى فيه ثواب طاعته، وملاذ كل خائف أن يأمن فيه من كل فزعٍ، ورجاء كل مظلوم أن ينصره الله تعالى فيه ويقتص له فيه ممن ظلمه!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ».[2]

فإلى أين يا من تعرض عن ربك؟

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٣٩

٢ – رواه البخاري– كتاب الرِّقَاقِ، بَابُ الِانْتِهَاءِ عَنِ الْمَعَاصِي، حديث رقم: ٦٤٨٣، ومسلم– كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ شَفَقَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ، حديث رقم: ٢٢٨٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

انظر إلى كمال عدل الله تعالى، وعظيم فضله!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ.....﴾!

مع أن الظلم منتفٍ في حق الله تعالى؛ لأنه تصرفٌ في ملك الغير بغير إذنه، والملك كله لله تعالى.

ولأنه وضع الأمور في غير مواضعها، والله تعالى لا يسأل عما يفعل، ومع ذلك يطمئن العبادَ أنه تعالى لا يظلم مثقالَ ذرَّةٍ، والخلق خلقه والأمر أمره.

وأكَّدَ نفي الظلم بـ (إنَّ) حتى لا يتسرب الشَّكَ في ذلك للنفوس، فيسيء العبدُ الظَّنَّ بالله تعالى.

ثم ترقى الكلام من نفي الظلم إلى بيان فضلِ الله العظيم على عباده؛ فقال: ﴿وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا﴾، فإنَّ مقتضى العدل أن تكون الحسنة بمثلها، لكن الله تعالى أخبر أنه يضاعفها.

ثم ترقى الكلام إلى ما هو أرفع رتبة من الفضلِ، ترقى إلى الإحسانِ وهو العطاءُ بلا سعي من العبد؛ فقال: ﴿وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.

فانظر إلى كمال عدل الله تعالى، وعظيم فضله، وعميم إحسانه!

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مكانة الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا (٤١) يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾.[1]

تأمل ما جعل الله تعالى لرسوله محمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من المكانة السامية، والمنزلة الكريمة!

ثم تأمل كيف خصه الله تعالى بالذكر، وأجمل ذكر الأنبياء جميعًا.

ثم تأمل كيف ذكره تعالى بكاف الخطاب أولًا دليلًا على قربه وارتفاع قدره عنده، ثم ذكره بصفة الرسالة تشريفًا له وتقريعًا لمن كذبه من قومه.

ثم تأمل حال الذين كفروا وعصوا الرسول يوم القيامة وهم يتقلبون بين الذل والمهانة والحياء والخوف، الذل والمهانة حين يختم الله على أفواههم وتتكلم جوارحهم، والحياء من المجاهرة بالكفر ومعصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والخوف من المصير المحتوم لكل كافر!

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤١، ٤٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شرفُ العقلِ، ومنزلةُ أولي الألبابِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ.....﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ.....﴾؛ لتعلم أن من أعظم مقاصد الشرعِ حفظ العقل، فإن من لا عقل له لا يدري ما يقول ولا يدري ما يفعل.

وأعظم مصيبة يصاب بها العبد بعد الدين ذهاب العقل، لذلك جعله الله تعالى مناط التكليف: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُواْ الأَلْبَابِ.....﴾.[2]

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ، عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَكْبَرَ، وَعَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَسْتَيْقِظَ، وَعَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ».[3]

فتأمل تلك النصوص التي تدلُّ على شرف العقل، ومنزلة أولي الألباب، وانظر إلى حال أولئك الذين يتعاطون ما يذهب عقولهم قصدًا، فيصير أحدهم مجنونًا أو المجنون، مع ما باء به من غضب الله تعالى عليه، نسأل الله العافية والسلامة.

ومما يدلُّ على قبح الخمرِ أَنَّ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ الْمِنْقَرِي شَرِبَ الْخَمْرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَسَكِرَ فَعَبَثَ بِذِي مَحْرَمٍ مِنْهُ، فَهَرَبَتْ مِنْهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قِيلَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ:

رأيـــت الخمـــر جامحـــة وفيهـــا ***** خصـــال تفســـد الرجـــل الحليمـــا

فـــلا والله أشـــربها صـــحيحا ***** ولا أشـــفي بهـــا أبـــدا ســـقيما

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤٣

٢ – سُورَةُ الرَّعدِ: الْآيَة/ ١٩

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ٩٤٠، وأبو داود– كِتَاب الْحُدُودِ، بَابٌ فِي الْمَجْنُونِ يَسْرِقُ أَوْ يُصِيبُ حَدًّا، حديث رقم: ٤٣٩٨، والترمذي– أَبْوَابُ الْحُدُودِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِيمَنْ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْحَدُّ، حديث رقم: ١٤٢٣، والحاكم– كِتَابُ الْحُدُودِ، حديث رقم: ٨١٧٠، بسند صحيح، عنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا أعطـــي بهـــا ثمنـــا حيـــاتي ***** ولا أدعـــو لهـــا أبـــدا نـــديما

فـــإن الخمـــر تفضـــح شـــاربيها ***** وتحشـــمهم بهـــا الامـــر العظيمـــا

ومما يدل على قدر العقل أن الحجاج خطب في يوم جمعة فأطال الخطبة، فقام إليه رجل فقال: إن الوقت لا ينتظرك والرب لا يعذرك، فأمر به إلى الحبس، فأتاه آل الرجل فقالوا: إنه مجنون، فقال: إن أقر على نفسه بما ذكرتم خليت سبيله، فقال الرجل: لا والله لا أزعم أنه ابتلاني وقد عافاني.[1]

١ - وفيات الأعيان (٢/ ٤٠)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرآن ليس فيه كلمة نابية، ولا لفظة مستهجنة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا.....﴾.[1]

تأمل ذلك التعبير القرآني العجيب، وتلك الألفاظ التي ذكرها الله تعالى: ﴿وَلا جُنُبًا﴾، ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾، ﴿أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾، وهي كنايات عن ألفاظ نابية، تمجها الأسماع، ويُسْتَحْيى من ذكرها!

ولهذه الكنايات دلالات منها أن الله تعالى كريم يكني بما شاءَ عمَّا شاءَ؛ فالجنابة كنايةٌ عنِ الْجِمَاعِ، وقيل لمن هذا شأنه: (جنبٌ)؛ لأنه يجتنب الصلاة وقراءة القرآن واللبث في المسجد، وما يشترط له الطهارة.

والغائط هو المكان المنخفض من الأرض كنّي به عن قضاء الحاجة، تنزيها لكتاب الله عن الألفاظ المبتذلة، وصيانة للأسماع من ذكرها.

وَالْمُلَامَسَةُ: كُنِّي بها عنِ الْجِمَاعِ تكريمًا لكتاب اللهِ، ومراعاة للحياء أن يخدشه خادش، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْمُلَامَسَةُ: الْجِمَاعُ، وَلَكِنَّ اللَّهَ كَرِيمٌ يُكَنِّي بِمَا يَشَاءُ.

ومنها أن القرآن في أعلى درجات الفصاحة، وأسمى مراتب البلاغة، فليس فيه كلمة نابية، ولا لفظة مستهجنة.

ومنها أن من مقاصد الإسلام تطهير الألسن، وتهذيب الأخلاق، وتقويم الطباع؛ فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ اليَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكَ، قَالَ:

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«وَعَلَيْكُمْ» فَقَالَتْ عَائِشَةُ: السَّامُ عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ، أَوِ الفُحْشَ».[1]

تأمل كلام الله تعالى في القرآن ثم قارن بينه وبين ما جاء في نشيد الإنشاد في التوراة، لترى البون الهائل، والفارق العظيم!

ولم لا وهذا كلام الله تعالى، وذاك كلام يستحي من سماعه، فضلًا عن ذكره وتلاوته.

وصدق الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.[2]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الطِّبِّ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُسْتَجَابُ لَنَا فِي الْيَهُودِ وَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِينَا، حديث رقم: ٦٤٠١، ومسلم- كِتَابُ السَّلَامِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ ابْتِدَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ بِالسَّلَامِ، وَكَيْفَ يُرَدُّ عَلَيْهِمْ، حديث رقم: ٢١٥٦

٢ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحرص الناس على الضلالة وأرغبهم فيها!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى عَن اليهودِ: ﴿يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾!

عادة من يريد شراء شيء أن يبحث عنه، ويساوم في ثمنه، وينافس في تحصيله، ثم يبذل الثمن لاقتنائه.

فكأنهم لشدة انحرافهم عن الحق – مع ما عندهم من العلم – أحرص الناس على الضلالة وأرغبهم فيها!

ولضعة نفوسهم ودناءة طباعهم، وفساد معتقدهم أرادوا إضلال المهتدين، وودوا لو سلكوا بهم سبيل أهل الجحيم؛ قال الله تعالى: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.[2]

وأقبح الناس حالًا مَنْ فَسَدَ في نفسِهِ وأفسَدَ غَيرَهُ.

واسئلوا التاريخ كيف انحرف النصارى عن جادة التوحيد؟

انحرفوا بمكيدة يهودي أشاع فيهم أن المسيح عليه السلام هو ابن الله – تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا – فصدقوه فضلوا عن الدين القويم، وتنكبوا الصراط المستقيم.

والعجيب أنهم مازالوا يعظمون هذا الذي أضلهم ضلالًا بعيدًا، وألقي بهم في حمئة الشرك، حتى لقبوه ببولس الرسول!

وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا فَرِيقًا مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾.[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤٤

٢ – سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ: الآية/ ٢

٣ – سورة آل عمران: الآية/ ١٠٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اتهمْ رأيك وتبرأْ مِنْ حَولِكَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾؛ لتتهم رأيك وتتبرأ من حولك وقوتك، ولتمثل أمره حين يأمرك بالموالاة والمعاداة.

﴿أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ﴾؛ أعلمُ بأشدهم عداوةً؛ ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾.[2]

وأعلم بما تضمره نفوسهم من البغض لأهل الإيمان؛ ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾.[3]

وأعلم بما يفعله أَعْدَاؤُكُمْ إذا تمكنوا من رقابكم؛ ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.[4]

وأعلم بِأَعْدَائِكُمْ أنهم لا عهدَ لهم؛ ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾.[5]

فالعجب كل العجب ممن يوالي أعداء الله ويعادي أولياءه، ويدني العدو الكاشح، ويقصي القريب الناصح، ويحب من يود له العنت، ويبغض من يريد له الرشد، ولا يتواني عن نصرة من يخذله، ويتخاذل عن نصرة من أمر الله بنصرته.

ألم يسمع قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ﴾![6]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤٥

٢ – سورة الْمَائِدَةِ: الآية/ ٨٢

٣ – سورة آل عمران: الآية/ ١١٨

٤ – سورة الممتحنة: الآية/ ٢

٥ – سورة التوبة: الآية/ ١٠

٦ – سورة الممتحنة: الآية/ ١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جرائم فاقت كل وصفٍ، وتعدت كل حدٍّ!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ...﴾.[1]

تأمل حال اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة، وانظر إلى جرائمهم التي فاقت كل وصفٍ، وتعدت كل حدٍّ!

يحرفون كلام الله تعالى بعدما عقلوه وهم يعلمون، ثم يتبجحون بإعلان العصيان بعد سماعهم لأمر الله تعالى، وأمر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثم يتطاولون على رسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في بجاحة غير معهودة، ووقاحة لا نظير لها، وما قصد أعداء الله إلا الطعن في الدين بالسخرية من رسول رب العالمين.

ومع تحريفهم لكلام رب العالمين، وسبهم لخاتم المرسلين، يزعمون أنهم شعب الله المختار، وأنهم صالحون أبرار!

وأعجب من هذا من يصدقهم على إفكهم، ويثني عليهم مع فجورهم، ويجعلهم مثلًا في الفضيلة يحتذى به، تشابهت قلوبهم.

وأعجب من ذلك من يتخذهم بطانة ناصحين، ويقدمهم على كثير من المؤمنين.

وأعجب من هذا وذاك من يعلن مودتهم، ويسارع في مرضاتهم.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٤٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أزهد الناس في الخير، وأبعد ما يكونون عن الحقّ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى عن اليهود: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ﴾، وتعجب من حال بعض الناس كيف لا يدرك ما فيه نفعه، وكيف يرضى بالاعوجاج بديلًا عن الاستقامة!

وسبب ذلك أمرانِ:

الأول: انتكاس الفطرة حتى يرى الخير شرًا والشر خيرًا، والباطل حقًا والحق باطلًا، والمعروف منكرًا والمنكر معروفًا، ومن كان هذا حاله كان أسوء الناس حالًا؛ لأنها تدل على موت القلب، وانطماس عين بصيرته.

ولا يرجى لمن هذا حاله صلاح، وليس له حتى النشور نشور.

وإن شئت فاسمع إلى ما قاله قوم لوط عن لوط عليه السلام ومن آمن معه: ﴿قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النَّمْلِ: ٥٦]، فعدوا التطهر عيبًا.

وهذا هو حال اليهود تمامًا، يرون البذاءة والوقاحة والسبَّ، حسنًا، والأدب والترفع عن القبيح عيبًا.

والثاني: أنهم قومٌ غلبت عليهم شقوتهم، كما حكى الله تعالى عن أهل النار: ﴿قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦]، وحقت عليهم لعنة الله تعالى بكفرهم، فهم أزهد الناس في الخير، وأبعد ما يكونون عن الحقّ.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٤٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أذلةٌ لا يرفعون رأسًا، ولا يعرفون عزًّا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نزلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولا﴾.[1]

تأمل حال اليهود عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة كيف آثروا الكفر على الإيمان، واشتروا الضلالة بالهدى، على ما توعدهم الله تعالى به من العذاب الدنيوي، قبل العذاب الأخروي، مع معرفتهم بصفة رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

ثم تأمل ذلك الوعيد العجيب بذلك العذاب الغريب وهو طمس الوجوه حتى لا يظهر لها معالم، ليناسب طمس معالم الإيمان في قلوبهم، وانطفاء نوره حتى لا يبقى له فيها أثر يذكر!

ثم تأمل ذلك الوعيد الآخر (اللعن)، الذي يطاردهم أينما ذهبوا، ويتبعهم حيثما حلوا!؛ ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.[2]

ومن آثار ذلك اللعن: تلك الذِّلةُ التي تلازم وجوههم ملازمة السوار للمعصم، وتطوّقُ أعناقهم طوقُ الغُلِّ للعبدِ الآبق، فلا يحيون كباقي الخلق بل أذلةً لا يرفعون رأسًا، ولا يعرفون عزًّا، ولا يعيشون إلا في كنف غيرهم؛ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.[3]

ثم تأمل ذلك الالتفات من الحضور إلى الغيبة في الآية: ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ﴾، وما قال: (أَوْ نَلْعَنَكُمْ)، الذي يوحي بالإعراض عنهم وطرحهم، وأنهم لا قدر ولا قيمة لهم.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤٧

٢ – سورةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٧٨

٣ – سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١١٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعظم افتراءٍ أنْ يُجعَلَ المخلوقُ الضعيفُ كالخالقِ القديرِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾؛ لتعلم أنَّ خطرَ الشركِ بالله تعالى يفوق خطرَ كلِ ذنبٍ يمكن أن يقع من العبدِ!

وأن كل ذنبٍ هينٌ بالنسبةِ للشرك بالله تعالى، والعلة في ذلك أن الشرك افتراءٌ على الله تعالى.

افتراءٌ على الله تعالى بزعم أنَّ للكون خالقًا غير الله تعالى، وأنَّ للعبدِ أربابًا سوى الله تعالى، وأنَّ النعم لها مصادرٌ شتى سوى الله تعالى.

افتراءٌ على الله تعالى بزعم أنَّ للهِ صاحبةً وولدًا تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وأنَّ له تعالى أندادًا شرعوا من الدين ما لم يأذن به الله عياذًا بالله، وأنهم يستحقون من العبادة والطاعة والتعظيم مثل ما ينبغي لله.

افتراءٌ على الله تعالى حين يُجعَلُ المخلوقُ الضعيفُ كالخالقِ القديرِ، والعبدُ الفقيرُ كالربِ الغَنِيِّ.

ثم تأمل ما لأهل التوحيد عند الله تعالى من المكانة السامية، والمنزلة العالية حيث تجاوز لهم عن الذنوب والآثام إذا حققوا التوحيد، ألم يقل الله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً".[2]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤٨

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الْأَدَبِ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٣٥٤٠، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ماذا يفيدك مدحٌ تعلم أنه أخطأك؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.[1]

ليس الشأن أن تزكي نفسك أو يزكيك صاحب لك إنما الشأن أن يزكيك الله تعالى، هو الذي مدحه زين وذمه شين.

وماذا يفيدك مدحٌ تعلم أنه أخطأك، وأنك لست أهلًا له؟

وكيف تزكي نفسك وقد قبلك الناس لما أسبله الله تعالى عليك من ستره الجميل؟

ولو هتك الله عنا ستره لفاحت روائح ذنوبنا من تحت الثياب.

هل يغني الفقيرَ تحدثُ النَّاسُ عنه بالثراء؟

وهل يغني الظمآن قول الناس له: أنت ريان؟

أما ثناء الله تعالى عليك وتزكيته لك، فهو الشرف الذي دونه كل شرف.

وتزكية الله تعالى تكون لمن حقق التوحيد وتجنب الشرك؛ كما قال تعالى عن إِبْرَاهِيمَ: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النَّحْلِ: ١٢٠]، ولمن كان من أهل شكره تعالى؛ كما قال تعالى عن مُوسَى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الْإِسْرَاءِ: ٣]، ولمن كان أوابًا صابرًا؛ كما قال تعالى عن أَيوبَ: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤]، ولمن كان مسارعًا في الخيرات، كثير الدعاءِ في السراء والضراء، عظيم الخشوع لرب الأرض والسماوات؛ كما قال تعالى عن زَكَرِيَّا وَأَهْلِ بَيْتِهِ: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.[2]

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤٩

٢ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ٩٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من كمال عدل الله تعالى مجازاة العباد بقدر أعمالهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾، لتعلم أن الظلم منتفٍ عن الله تعالى، لكمالِ غناه عن العبادِ، وكمال عدله، وكمال رحمته تعالى.

فيجازى العبادُ بقدر أعمالهم، إن خيرًا فخيرٌ وإن شرًّا فشرٌ.

ويعطى العبادُ بقدر سعيهم، فمن كان يسعى للدنيا يُوَفَّ أجرُهُ في الدنيا، ولا يبخسُ منه شيئًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾.[2]

هذا مقتضى عدل الله تعالى.

ومن حكمته تعالى العظيمة، ألا يجعل له حظًّا في الآخرة؛ لئلا يستوي من عصاه بمن أطاعه، ومن أشرك به بمن وحده تعالى.

ومن كان يسعى للآخرة، وَهُوَ مُؤْمِنٌ يرجو رحمة ربه ويخشى عذابه، فإن الله لا يخيب رجاءه، ويشكر له سعيه؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.[3]

هذا فضل من الله تعالى، وتلك رحمته تعالى بمن أطاعه؛ ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.[4]

فمن ذا الذي بخسه الله تعالى حقه؟

ومن ذا الذي ظلمه الله تعالى ولو فتيلًا؟

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤٩

٢ – سورة هُودٍ: الآية/ ١٥

٣ – سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ١٩

٤ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٠٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عجيب شأن أولئك اليهود المجرمين!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُبِينًا﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿انْظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ...﴾، لتعلم أنهم بلغوا الغاية في اختلاق الكذب، وانتحال البهتان، والافتراء على الله تعالى!

عجيب شأن أولئك اليهود المجرمين الذين لا يتورعون عن ذنب، ولا يرعوون عن جرم، حتى يصل بهم الأمر إلى افتراء الكذب على الله تعالى!

وما أكثرَ افتراءاتهم على الله تعالى، افتروا على الله تعالى الكذب حين وصفوه تعالى بالبخل؛ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وحين وصفوه تعالى بالفقر؛ ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وحين وصفوه تعالى بالتعب؛ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا.

وافتروا على الله الكذب حين حرفوا كلامه، وتقولوا عليه ما لم يقله؛ ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ﴾.[2]

وافتروا على الله الكذب حين كتموا كلامه، وحجبوه عن الناس؛ ﴿قُلْ مَنْ أَنزلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾.[3]

وافتروا على الله الكذب هم والنصارى حين زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه؛ ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾.[4]

وافتروا على اللهِ الكذبَ حين زَكُّوا أنفسَهُم؛ ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنْفُسَهُمْ﴾.[5]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥٠

٢ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَة/ ١٣

٣ – سُورَةُ الأَنعام: الآية/ ٩١

٤ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَة/ ١٨

٥ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٤٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحاط بهم الفساد من كل جانب، وأخذ عليهم الشيطان كل سبيل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾، لتعلم أن مجرد الانتساب للدين مع مخالفة أحكامه، وتعدي حدوده، وانتهاك محارمه، لا يغني عن صاحبه شيئًا.

ثم تأمل كيف وصف الله تعالى أولئك اليهود بتلك الصفات الثلاث: ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ﴾، وهو: السِّحْرُ، وهو دليلٌ على نبذهم شريعة الله تعالى وراء ظهورهم؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ (١٠١) وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ....﴾.[2]

﴿وَالطَّاغُوتِ﴾، وَيُؤْمِنُونَ الطَّاغُوتِ؛ وَهو كلُ ما عُبِدَ من دون الله ورضي بذلك، وهذا دليلٌ على فساد إيمانهم؛ وذلك لما توارثوه عن أجدادهم الذين قال الله تعالى عنهم: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾.[3]

﴿وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾، ويقولون للوثنين عُبَّادِ الأصنامِ: أنتم أهدى سبيلًا من محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأصحابه، وهذا دليلٌ على فساد فطرتهم، حتى رأوا الكفرَ إيمانًا، والإيمانَ كفرًا، والباطلَ حقًا، والحقَ باطلًا، والمنكرَ معروفًا والمعروفَ منكرًا؛ وذلك لأنهم قومٌ بهت كما قال أعرف الناس بهم عبد الله بن سلام وكان كبير أحبارهم.

أحاط بهم الفساد من كل جانب، وأخذ عليهم الشيطان كل سبيل.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥١

٢ - سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَة/ ١٠١، ١٠٢

٣ - سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَة/ ٩٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اجتمع لليهود من أسباب اللعن ما لم يجتمع لغيرهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ...﴾، لتعلم أنهم مخصوصون بالنصيب الأوفى من اللعن، والحظ الأوفر من الخزي والخذلان!

فإن تقديم الضمير: (أُولَئِكَ)، يدل على التخصيص؛ كأن المعنى: إن كان هناك من لعنهم الله فهم أولئك اليهود؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.[2]

وعدم ذكر سبب اللعن يدل على أنه قد اجتمعت لهم جملة من أسباب اللعن، استحقوا اللعن بكل واحد منها.

منها كفرهم بالله تعالى: ﴿وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلا يُؤْمِنُونَ إِلا قَلِيلا﴾.[3]

ومنها جرأتهم على الله تعالى ووصفهم له بالبخل تعالى الله عن ذلك علوا كبيرًا: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾.[4]

ومنها تعمُّد عصيانِ أوامرِ اللهِ تعالى، واعتداؤهم على حدوده؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [الْمَائِدَةِ: ٧٨]، ومنها أنهم: ﴿كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.[5]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥٢

٢ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الاية/ ٦٠

٣ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٤٦

٤ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الاية/ ٦٤

٥ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الاية/ ٧٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومنها استحلالهم محارم الله تعالى بأدنى الحيل؛ فعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، فَجَمَلُوهَا، فَبَاعُوهَا».[1]

ومنها اتِّخَاذُهم قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ؛ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «لَعَنَ اللَّهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ».[2]

ومنها تحرفهم لكلام الله تعالى؛ وقتلهم الأنبياء بغير حق، وقولهم قلوبنا غلف، وقولهم إنا قتلنا المسيح ابن مريم، ومنهم قولهم لنبيهم موسى عليه السلام: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، ومنها صدهم عن سبيل الله كثيرًا، وومنها أخذهم الربا وقد نهوا عنه، وأكلهم أموال الناس بالباطل، وجرائمهم لا يحيط بها العد ولا يأتي عليها الحصر.

---

١ - رواه البخاري-كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث رقم: ٣٤٦٠، ومسلم- كِتَابُ الْبُيُوعِ، بَابُ تَحْرِيمِ بَيْعِ الْخَمْرِ وَالْمَيْتَةِ وَالْخِنْزِيرِ وَالْأَصْنَامِ، حديث رقم: ١٥٨٢

٢ - رواه البخاري- كتاب أحاديث الأنبياء، بَابُ مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، حديث رقم: ٣٤٥٣، ومسلم- كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ بِنَاءِ الْمَسَاجِدِ عَلَى الْقُبُورِ وَاتِّخَاذِ الصُّوَرِ فِيهَا، وَالنَّهْيِ عَنِ اتِّخَاذِ الْقُبُورِ مَسَاجِدَ، حديث رقم: ٥٢٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حقيقة يجب على كل مخلوق أن يعيها جيدًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾، لتعلم مدى ضعف هذا المخلوق، ومدى عجزه، ومدى افتقاره لله تعالى!

إذا طرد الله تعالى عبدًا من رحمته عياذًا بالله، هل يجيره أحدٌ من الله؟ هل يملك الخلق جميعًا له شيئًا؟

هل تغنيه رحمتهم عن رحمة الله تعالى شيئًا؟

هل يستطيع الخلق جميعًا أن يحولوا بينه وبين لعنة الله تعالى؟

بل والله لو أراد الله بعبده ضرًّا يسيرًا فلا يملك الخلق جمعيًا كشفه حتى يكشفه الله، ولو أصابه شيءٌ من الهم ما أزاحه عنه سوى الله؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[2]

وإذا كان الله تعالى قد قال عن المسيح عليه السلام وهو أحد أولى العزم من الرسل، وأحد المصطفين الأخيار، وأمه مريم البتول عليها السلام: ﴿قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾. [المائدة: ١٧]، فما بالك بمن حقت عليه لعنة الله تعالى؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾.[3]

حقيقة يجب على كل مخلوقٍ أن يعيها جيدًا أنه لا غنى له عن الله طرفة عين، ولا أدنى من ذلك، وأنه لا ملجأ له ولا منجى من الله إلا إليه.

فاحذر يا عبد الله أن يصيبك من الله ما تكره، فلا يغني عنك منه أحدٌ.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥٢

٢ – سُورَةُ الأنعامِ: الْآيَة/ ١٧

٣ – سُورَةُ الزُّمَرِ: الآية/ ١٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يُرجَى عند اليهود خيرٌ، ولا يُؤمَلُ منهم نفعٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى عن اليهود – عليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيامة –: ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمُلْكِ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا﴾، لتعلم مدى ما هم عليه من البخل، ومدى ما يتصفون به من الشح!

فهم قوم استأثروا بالنصيب الأوفر من كل قبيح، ولهم القدح المعلي من كل نقيصة، وحازوا قصب السبق في المساوئ.

فلو كان لهم نصيب من ملك الله تعالى لا يدرك عظمته إلا الله، ولا يحيط به علمًا سواه، لما جادوا منه بشيء ولو كان ضئيلًا، ولو كان بحجم النقير الذي في ظهر النواة، إنه أبلغ تعبير لبخلهم، وشح أنفسهم الذي فاق ما عند الخلق جميعًا.

ومع شدة بخلهم، فهم أجبن خلق الله، وهما شر ما في الصفات البشرية؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «شَرُّ مَا فِي رَجُلٍ شُحٌّ هَالِعٌ وَجُبْنٌ خَالِعٌ».[2]

وعلى ما فيهم من دناءة النفوس ورداءة الأخلاق، وصفوا الله تعالى بالبخل – تعالى الله عما يقولون علوا كبيرًا – كما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، فكانوا أولى بالمثل القائل: (رمتني بدائها وانسلت).

وإلى وقت قريب كان تعريف اليهودي في دائرة المعارف البريطانية: (اليهودي: هو التاجر المرابي الجشع).

فيا قومنا لا يُرجَى عند هؤلاء خيرٌ، ولا يُؤمَلُ منهم نفعٌ.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥٣

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٨٠١٠، وأبو داود– كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي الْجُرْأَةِ وَالْجُبْنِ، حديث رقم: ٢٥١١، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مدى دناءة نفوس اليهود وقبح أخلاقهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى عن اليهود: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾، لتعلم دناءة نفوسهم وقبح أخلاقهم، وسفاهة أحلامهم.

فإن المراد بالناس هنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحسده اليهود هليهم لعائن الله المتتابعة إلى يوم القيمة، يحسدونه على النبوة والرسالة فإذا علمت أن الحسد تمني زوال النعمة عن الغير، علمت ما يتصفون به من قبيح الصفات، وما تنطوي عليه أنفسهم من مساوئ الطباع.

وماذا يضيرهم لو آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وساروا تحت رايته، وحملوا لواء الإسلام، وهو يدعوهم إلى الشرف والتمكين في الدنيا، والنعيم المقيم في دار الخلد يوم القيامة؛ ﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٣٩]، ولكن حقت عليهم كلمة ربك فأركسوا في الضلال؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾ [يُونُس: ٩٦، ٩٧]، وأعمى نور الإسلام بصائرهم لما استنكفوا عن اتباعه، واستمرؤا عصيانه؛ ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.[2]

ويقال لأولئك السفهاء: موتوا بغيظكم فإن رسول الله محمدًا صلى الله عليه وسلم من الصفوة المختارة من خلق الله من آل إبراهيم، وقد ﴿آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٥٤

٢ - سورة الْحَجِّ: الآية/ ٤٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى عما آتى اللهُ تَعَالَى آلَ إِبْرَاهِيمَ من الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ والْمُلْكَ العَظِيم: ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ﴾، صَدَّوا عنه، وأَعْرَضُوا عَنِ التَّصْدِيقِ بِهِ وهم يَزعُمُون أَنَّهم مِنْ أَسْبَاطِ بَنِي إِسْرَائِيلَ.

جحدوا فضل الله عليهم وكفروا بدينه وصدوا الناس عن دعوة رسله وهم من جنسهم من بني إسرائيل فكيف بمن كان بعيدًا عنهم؟

وإنما أخر عنهم العذاب الذي توعدهم الله تعالى به في الدنيا كرامة لرسولِهِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٤]، ولِمَا ينتظرهم من العذابِ المقيمِ يومَ القيامةِ، ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

فمن أراد ناصرًا ومعينًا فالله يكفيه، ومن أراد حجةً وبرهانًا فالقرآن يكفيه، ومن أراد مرشدًا ودليلًا فالرسول يكفيه، ومن لا يكفيه ذلك فالنار تكفيه؛ ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا ابن آدم ماذا دهاك؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾.[1]

العجب كل العجب ممن يسمع مثل هذا الوعيد من الله تعالى الكبير المتعال، العظيم القهار، ثم يظل سادرًا في غيه مقيم على كفره!

فيقال لمثل هذا الذي يؤثر الكفر على الإيمان، والضلالة على الهدى، والغي على الرشد: ﴿يَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ﴾؟[2]

ألست ترى آثار قدرته في كل متحرك وساكن؟

ألست ترى حكمته في كل كائن من مخلوقاته؟

يا ابن آدم ماذا دهاك؟

من أين لك قوة القلب، وأنت تفرق غاية الفرق من ميكروب لا يرى، وحية يضرب بها المثل في الجبن.

وجبار السماوات والأرض يحذرك أسباب سخطه مرارًا فلا ترتدع؛ ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.[3]

وينذرك عذابه وسخطه ليلًا ونهارًا فلا ترعوي؛ ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَاعِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾.[4]

يابن آدم إنما هي نفس واحدة فلا تغر بها.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥٦

٢ - سورة الِانْفِطَارِ: الآية/ ٦

٣ - سورة آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٢٨

٤ - سورةُ الزُّمَرِ: الآية/ ١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأيام قلائلُ سرعان ما تنقضي؛ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لُقْمَانَ: ٣٣]، وعذاب دائمٌ لا ينقطع فلا تستهن به.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أذلك خير نزلًا أم دركات الجحيم؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾.[1]

تأمل تلك المنح الإلهية لأهل الإيمان فأولها: شرف إذن الله لهم بدخول الجنانِ؛ ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.[2]

وثانيها: أنها جَنَّاتٌ وليست جنَّةً واحدةً؛ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾.[3]

وثالثها: رفعة درجتهم وعلو منزلتهم في الجنة، فهم في قصورهم الشاهقة وغرفهم العالية يهنؤون بكرامة الله لهم، ويتمتعون بمشاهدة الأنهار تجري من تحتهم.

ورابعها: الخلود الأبدي في دار النعيم، فلا يكدر صفوهم انقطاع النعيم، بوفاة ولا انتهاء.

وخامسها: التلذذ بالأزواج المطهرات من كل أذى المبرءآت من كل عيب.

وسادسها: التنعم بالظل الظليلِ تحت الأشجار مورقة الأغصان، يانعة الثمار، وارفة الظلال، سجسج جوها، فلا شمس هنالك تكدر ولا زمهرير هناك يزعجر، وحرٌّ يُؤذي ولا بردٌ يُنغِّصُ.

وأعظم من ذلك كله أنهم في جوار الرحمن تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾.[4]

أذلك خير نزلًا أم دركات الجحيم؟

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥٧

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٥

٣ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ: الآية/ ٤٦

٤ - سُورَةُ القَمَرِ: الآية/ ٥٤، ٥٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خَطَرُ الْأَمَانَاتِ، وعِظَمُ شَأْنِهَا عند الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾.[1]

تأمل صيغة الأمر الجازم في قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾، لعلم خَطَرَ الْأَمَانَاتِ، وعِظَمَ شَأْنِهَا عند الله تعالى، وأنَّه لا تهاون فيها بحال من الأحوال؛ لذلك قَلَّمَا خَطَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا قَالَ: "لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ".[2]

ثم تأمل ذكر لفظ الجلالة قبل الأمر بأداء الأمانات، وما قال: (يا أيها الذين آمنوا أدوا الأمانات)، لما للفظ الجلالة من المهابة والرهبة في النفوس.

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿أَنْ تُؤَدُّوا﴾، وما قال: (أن تردوا) لتعلم أنَّ الْأَمَانَاتِ أعمُّ وأشملُ من أن تكون مجردَ ودائعٍ؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ».[3]

ثم تأمل العلة من ذكر الأمانة بصيغة الجمع لتعلم أنَّ في أعناقنا جملةَ من الْأَمَانَاتِ يجب علينا أداؤها؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: "الْقَتْلُ فِي سَبِيلِ اللهِ يُكَفِّرُ الذُّنُوبَ كُلَّهَا إِلَّا الْأَمَانَةَ، قَالَ: يُؤْتَى بِالْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقَالُ: أَدِّ أَمَانَتَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ ذَهَبَتِ الدُّنْيَا؟ قَالَ: فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى الْهَاوِيَةِ، فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى الْهَاوِيَةِ، وَيُمَثَّلُ لَهُ أَمَانَتُهُ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ دُفِعَتْ إِلَيْهِ، فَيَرَاهَا فَيَعْرِفُهَا فَيَهْوِي فِي أَثَرِهَا حَتَّى يُدْرِكَهَا، فَيَحْمِلَهَا عَلَى مَنْكِبَيْهِ حَتَّى إِذَا ظَنَّ أَنَّهُ خَارِجٌ زَلَّتْ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَهُوَ يَهْوِي فِي أَثَرِهَا أَبَدَ

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥٨

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٢٣٨٣، بسند حسن

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٤٤٤٧، وأبو داود– كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي نَقْلِ الْحَدِيثِ، حديث رقم: ٤٨٦٨، والترمذي– أَبْوَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِعَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ أَنَّ الْمَجَالِسَ أَمَانَةٌ، حديث رقم: ١٩٥٩، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْآبِدِينَ، ثُمَّ قَالَ: الصَّلَاةُ أَمَانَةٌ، وَالْوُضُوءُ أَمَانَةٌ، وَالْوَزْنُ أَمَانَةٌ، وَالْكَيْلُ أَمَانَةٌ، وَأَشْيَاءُ عَدَّدَهَا، وَأَعْظَمُ ذَلِكَ الْوَدِائِعُ.[1]

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿إِلَى أَهْلِهَا﴾، لتعلم أن الأمانات مهما طال عهدها وتقادم زمانها فأصحابها أحق بها؛ لأنهم أهلها، ولا حظَّ لأحد سواهم فيها.

١ - رواه البيهقي في شعب الإيمان- الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها، حديث رقم: ٥٢٦٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا تحقق العدل وانتشر الأمن عمَّ الرخاءُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾، بعد الأمر بأداء الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا، ليتحقق تمكين كل ذي حق من حقه، وليعم العدل كل فرد من أفراد المجتمع، فتحقيق ولاة الأمر العدل بين الناس أمانة من أجل الأمانات، وأداءُ الأماناتِ إلى أهلها، وإيصَالُ الْحَقِّ لأصحابِهِ تحقيقٌ للعدلِ والإنصافِ.

ولما كان الحكم بين الناس بالعدل أمانة، كان ذلك شبيهًا بعطف الخاص على العام؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ».[2]

ولما كان الأمن من أعظم مقاصد الشرع أمر الله تعالى به أمرًا عامًّا وأمر به أمرًا خاصًا.

أمر عموم الناس بأداء الأمانات ليأمن الناس على ممتلكاتهم وأسرارهم، وأمر ولاة الأمر بإقامة العدل ليأمن الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

ومن العدل الأخذ على يدي الظالم، وانصاف المظلوم، وألا يطمع شريف في الحيف، ولا يقنط ضعيف من العدل؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمِ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الْحَدَّ».[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥٨

٢ – رواه البخاري–كتاب الرقاق، بَابُ رَفْعِ الْأَمَانَةِ، حديث رقم: ٦٤٩٦

٣ – رواه البخاري–كتاب أحاديث الأنبياء، بَابٌ، حديث رقم: ٣٤٧٥، ومسلم– كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ قَطْعِ السَّارِقِ الشَّرِيفِ وَغَيْرِهِ وَالنَّهْيِ عَنِ الشَّفَاعَةِ فِي الْحُدُودِ، حديث رقم: ١٦٨٨، عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإذا تحقق العدل وانتشر الأمن عمَّ البلادَ الرخاءُ، وانتشر في ربوعها الخير؛ فعَنِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حَدٌّ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ مَطَرِ أَرْبَعِينَ صَبَاحًا».[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٨٧٣٨، وابن حبان- كِتَابُ الْحُدُودِ، ذِكْرُ الْأَمْرِ بِإِقَامَةِ الْحُدُودِ فِي الْبِلَادِ، إِذْ إِقَامَةُ الْحَدِّ فِي بَلَدٍ يَكُونُ أَعَمَّ نَفْعًا مِنْ أَضْعَافِهِ الْقَطْرُ إِذَا عَمَّتْهُ، حديث رقم: ٤٣٩٨، والبيهقي في شعب الإيمان، فصل في فضل الإمام العادل وما جاء في جور الولاة، حديث رقم: ٧٣٨١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا تقدموا أمر المخلوق على أمر الخالق

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ﴾.[1]

تأمل كيف أعاد اللهُ تعالى لفظ الطاعةِ حين أمر بطاعته تعالى، وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يذكر لفظ الطاعة حين تكلم عن أُولِي الأمْرِ؛ لتعلم أن طاعة الله تعالى، وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طاعة مطلقة، طاعة أولي الأمر فهي مقيدة بطاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولا يحل لأحد أن يعتقد أن أحدًا من الخلق بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تجب طاعته طاعةً مطلقةً كطاعة الله تعالى، وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك بالله تعالى؛ فإن العبادة هي: كمال الطاعة مع كمال الحب والذل؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي المَعْرُوفِ».[2]

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى المَرْءِ المُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ».[3]

وقد ذم الله تعالى أقوامًا أقبح الذم، حين قدموا أمر المخلوق على أمر الخالق، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾.[4]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٥٩

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الْأَحْكَامِ، بَابُ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ مَعْصِيَةً، حديث رقم: ٧١٤٥، ومسلم– كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، حديث رقم: ١٨٤٠

٣ – رواه البخاري– كتاب الأحكام، بَاب: السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِلْإِمَامِ مَا لَمْ تَكُنْ معصية، حديث رقم: ٦٧٢٥، ومسلم– كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، حديث رقم: ١٨٣٩

٤ – سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآيَة/ ٣١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد بين النَّبِيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَدِيّ بْنِ حَاتِمٍ، أنهم كانوا يعبدونهم حين أحلوا لهم الحرام وحرموا عليهم الحلال فأطاعوهم فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، وَيُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ».[1]

١ - رواه الترمذي- بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٣٠٩٥، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٢١٨، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

احذر أن تزل قدمك وأنت تطلب لعاعة من الدنيا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ﴾.[1]

الاختلاف واقع لا محالة، وهو علة لتفاوت الأفهام، وتباين الرؤى، واختلاف العقول، ومع ذلك فيجب على أهل الإيمان إذا حدث اختلاف ألا يصل بهم إلى التنازع؛ فإنه سبب الفشل، وفقد الهيبة، وجرأة الأعداء؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.[2]

ومع ذلك إذا وقع التنازع فيجب الاحتكام إلى كتاب الله تعالى وإلى سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، للفصل في أسباب النزاع، ورد الأمور إلى نصابها، وبيان المحق من المبطل.

والتنازع قد يكون سببًا للتمحيص وتمييز الخبيث من الطيب؛ فاحذر أن تزل قدمك وأنت تطلب لعاعة من الدنيا فتخسر من أجلها دينك؛ فمن الناس من يبادر إلى إعلان رفضه الاحتكام إلى شرع الله تعالى؛ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾.[3]

ومنهم من يحتكم إلى الشرع فإن لم يأت الحكم موافقًا لهواه أعلن العصيان، وجاهر بالإنكار، ولم يرض بحكم الله تعالى ولا بحكم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[4]

وأي إيمان عند من يستنكف عن الاحتكام لكتاب الله، ويأنف من الانقياد لحكم رسول الله!

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٥٩

٢ - سورة الأنفال: الآية/ ٤٦

٣ - سورة الْأَحْزَابِ: الآية/ ٣٦

٤ - سورة النِّسَاءِ: الآية/ ٦٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

انظر إلى رقة دينه وتهافت إيمانه!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ.....﴾، لتعلم أن الإيمان عند بعض الناس لا يعدُ كونه مجردَ زعمٍ لا دليلَ عليه!

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ يُعْقَلُ، وَعَمَلٌ يُعْمَلُ».[2]

نعم هذا حال بعض الناس يملأ الدنيا ضجيجًا بزعمه أنه يحب الله ويحب رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويحب دينه، فإذا تعارض ذلك مع دنياه، أو خالف هواه، طرح كل ذلك وراءه ظهريًّا، ونسي ما كان بالأمس يزعمه، وأصبح لا يرى إلا ما يحبه ويهواه.

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعًا لِمَا جِئْتُ بِهِ».[3]

ثم انظر إلى رقة دينه وتهافت إيمانه حيث رضي بالكفر، ورغب في الباطل حين تحاكم إلى الطاغوت وقد أمره الله تعالى أن يكفر به.

وفوق ذلك يضيق صدره بشرع الله تعالى، وينشرح غاية الانشرح بالاحتكام إلى الطاغوت، وما ذلك إلا لما انطوت عليه نفسه من عداء كامن للدين، أبى إلا أن يطل برأسه، ليهتك الله ستره، ويظهر للعالمين سره، فيفتضح في الدنيا قبل الآخرة؛ قَالَ تَعَالَى عن هذا الصنف من

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٦٠

٢ – رواه الخلال– بَابُ مُنَاكَحَةِ الْمُرْجِئَةِ، حديث رقم: ١٢١٢، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٢٧٣)، وابن بطة في الإبانة الكبرى– حديث رقم: ١٠٩٢

٣ – رواه ابن أبي عاصم– بَابُ مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ هَوَى الْمَرْءِ تَبَعًا لِمَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ١٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناس: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾.[1]

١ - سُورَةُ الزُّمَرِ: الآية/ ٤٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الشيطان لا يرضي من بني آدم إلا الإيغال في الضلالِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾؛ لتعلم أن مقصد الشيطان في إضلال بني آدم لا يقف دون الكفر!

فإنَّ الضلالَ البعيدَ الذي لا يرى فيه العبدُ معالمَ سبيلِ العودةِ، وتخفى عليه فيه ملامح الجادة، وكلما أمعن في السير كلما أوغل في الضلال والبعدِ؛ كمن ضلَّ في الصحراء لا يزيده الجدُّ في السير إلا ضلالًا.

ومن العجيب أن طريق الغواية الذي يرسمه الشيطان يبدأ بخطوة تتبعها خطوات؛ لذلك قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾. [النُّور: ٢٠]، ثم ينتهي بغصة وحسرات؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[2]

ومما يدل على أن الشيطان لا يرضي من بني آدم إلا الإيغال في الضلالِ، ما ثبت عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ إِبْلِيسَ يَضَعُ عَرْشَهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ يَبْعَثُ سَرَايَاهُ، فَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَنْزِلَةً أَعْظَمُهُمْ فِتْنَةً، يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: فَعَلْتُ كَذَا وَكَذَا، فَيَقُولُ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا، قَالَ ثُمَّ يَجِيءُ أَحَدُهُمْ فَيَقُولُ: مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى فَرَّقْتُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ امْرَأَتِهِ، قَالَ: فَيُدْنِيهِ مِنْهُ وَيَقُولُ: نِعْمَ أَنْتَ». قَالَ الْأَعْمَشُ: أُرَاهُ قَالَ: «فَيَلْتَزِمُهُ».[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٦٠

٢ – سُورةُ إِبْرَاهِيمَ: الآية/ ٢٢

٣ – رواه مسلم– كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ تَحْرِيشِ الشَّيْطَانِ وَبَعْثِهِ سَرَايَاهُ لِفِتْنَةِ النَّاسِ وَأَنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ قَرِينًا، حديث رقم: ٢٨١٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومما يدل على أن مقصد الشيطان في إضلال بني آدم لا يقف دون الكفر، قَولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾.[1]

١ - سُورةُ الحَشْرِ: الآية/ ١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أيحسب هؤلاء أن الإيمانَ مجردُ كلمة تلوكها الألسنُ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾.[1]

عجيبٌ شأنُ أولئك المنافقين، يزعمون أنهم آمنوا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبيًّا ورسولًا، فإذا دُعُوا إلى كتاب الله وإلى سنةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، رأيتهم يعرضون إعراضًا شديدًا، وينفرون عن دين الله نفرة حمر الوحش، ويصدون غيرهم صدودًا لا يكاد ينقضي منه العجب.

نعم لا يكاد ينقضي العجب ممن يزعم أنه مسلم وهو يحارب دين الله تعالى جهارًا نهارًا، ويصدُّ الناس عن دين الله تعالى بكل وسيلة، ويقطع عنهم كل سبيل.

أيحسب هؤلاء أن الإيمانَ مجردُ كلمةٍ تلوكها الألسنُ، لا يترتب عليها اعتقادٌ وعملٌ؟ أو أنه مجردُ أمنية؟

قَالَ الْحَسَنُ البَصْرِيُّ: "لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، مَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ رَدَّهُ اللهُ عَلَى قَوْلِهِ، وَمَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ صَالِحًا رَفَعَهُ الْعَمَلُ".[2]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٦١

٢ – رواه البيهقي في شعب الإيمان– باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم، حديث رقم: ٦٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يستفيقون من غفلتهم، ولا يرتدعون عن غيهم على كثرة نكباتهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾.[1]

تأمل حال أولئك المنافقين الذين يستنكفون عن الاحتكام لشرع الله تعالى، ويصدون عن سبيل الله تعالى ليل نهار، ويحاربون دين الله تعالى بكل وسيلة، ويطعنون فيه في كل ناد، بدعوى حرية التعبير.

تأمل قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾، لتعلم حال أولئك الذين لا يستفيقون من غفلتهم، ولا يرتدعون عن غيهم، ولا يرعوون على كثرة نكباتهم، وتوالي مصائبهم، فأي حجب تلك التي غلفت قلوبهم، وحجبت نور الإيمان عنهم فعميت بصائرهم! ألم يقل الله تعالى: ﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾![2]

تأملْ حالهم وتعجبْ من شأنهم حين يُفتضح أمرهم ويظهر للناس عوارهم، بسبب كفرهم وصدهم عن سبيل الله، يحلفون بالله كذبًا وزورًا: ما أردنا بما قلنا وبما فعلنا إلا الإحسان بتخليص الدين مما علق به، وتنقيته من الشوائب، وتجديد الخطاب الديني، والتحذير من الكتب الصفراء، وأقوال العلماء بزعمهم، وتلك شنشنة نعرفها من أخزم، وما حالهم في ذلك إلا كحالِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أُبَيّ بْنِ سَلُولَ، فقد كَانَ يقومُ كلَ جُمُعَةٍ إِذَا جَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَخْطُبَ فِي النَّاسِ فَيَقُولُ: (أَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، أَكْرَمَكُمْ اللَّهُ وَأَعَزَّكُمْ بِهِ، فَانْصُرُوهُ وَعَزِّرُوهُ، وَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا).[3]

يقول هذا مع ما يضمره لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من البغضِ وما يضمرهُ لدينِ اللهِ تعالى من العداءِ.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٦٢

٢ – سورة التوبة: الآية/ ١٢٦

٣ – سيرة ابن هشام ت: السقا (٢/ ١٠٥)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

انظر كيف عاملوا الله تعالى معاملة الصبيان!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، مع قول المنافقين: ﴿إِنْ أَرَدْنَا إِلا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا﴾؛ لتعلم ما يتصف به المنافقون من سفاهةِ الأحلامِ، وضعفِ العقولِ، وقلةِ الإدراكِ، حيث ظَنُّوا أنَّ حالهم يخفى على الله تبارك وتعالى، وأنهم يستطيعوا خداعَ رسولِ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، المؤيدِ بالوَحِي مِنَ السَّماءِ.

انظر كيف عاملوا الله تعالى معاملة الصبيان!

ثم تأمل رحمةَ اللهِ تعالى بهم وبكل عاصٍ ليترك لهم سبيلًا للتوبة، حين قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾، ولم يقل: (أولئك الذين يعلم الله نفاقهم)، لِيَتَلَمَّسَ كل واحدٍ منهم آثار الخير في قلبهم، ويقبل مَنْ أراد التوبة منهم على ربه.

ثم تأمل الترقي في الكلام في قوله تعالى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾، فمنهم من يؤثر فيه إعراضُ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، غايةَ الأثرِ، ومنهم من لا يُجْدِي الإعراضُ معه شيئًا حتى تنالَ منه سياط الموعظة، ومنهم من يحتاج إلى من يهزه هزًّا عنيفًا بغليظ القول الذي يبلغ منه مبلغًا لا يدع له عذرًا في التمادي في الباطل.

فمن لَجَّ بعد ذلك في باطلِهِ، وتمادي في غَيِّهِ، فلا يلومنَّ إلا نفسه، ولا يهلك على الله إلا هالك.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٦٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هل يسع أحدًا بعد ذلك أن يخالفه؟!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ....﴾.[1]

تأملُ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ....﴾ لتعلم أن الله تعالى ما أرسل رسولًا إلا وفرض طاعته على من أرسل إليهم، بل وعلق الله تعالى الإيمان على طاعته. ومن لوازم طاعة الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: توقيره، وتعظيمه ونصرته والرضى بحكمه والتسليم لأمره.

أمَّا وجوب طاعته فلأنها من طاعة الله تعالى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النِّسَاءِ: ٨٠]، كما أن معصية الرسول معصية لمن أرسله.

وأما توقيره وتعظيمه فلقول الله تعالى: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفتح: ٩]، قَالَ العُلَمَاءُ: هُوَ الِاحْتِرَامُ وَالْإِجْلَالُ وَالْإِعْظَامُ، والضميرُ هنا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَشْرِيفًا وَتَعْظِيمًا وَتَكْرِيمًا لَهُ؛ ولأنَّ إِجْلَالَهُ وتَعظِيمَهُ إِجْلَالٌ وتَعظِيمٌ للهِ تعالى.

وأما نصرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقد بالغ الله تعالى في إيجابها، وحذر المسلمين من التخاذل في نصرته غاية التحذير بقوله: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٤٠]، وهو خبرٌ يتضمن الوعيد الشديد على التخاذل عن نصرته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وأما الرضى بحكمه والتسليم لأمره فقد قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النِّسَاءِ: ٦٥]، بل أمضى الله تعالى حكم رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في أمور المؤمنين الخاصة؛ قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالا مُبِينًا﴾ [الْأَحْزَاب: ٣٦]؛ وذلك لأنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.[2]

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٦٤

٢ - سورةُ الْأَحْزَابِ: الآية/ ٦

فهل يسع أحدًا بعد ذلك أن يخالفه؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شرفُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمو مكانته عند الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ.....﴾، لتعلم ان من أجلِّ نعم الله تعالى على العباد بعد الإسلام التوبة، فما من أحد إلا وهو محتاج إلى التوبة، لأن «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»؛ كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا كان المذنب لا يجد سبيلًا للرجوع على ربه، ولا يجد وسيلة للتكفير عن ذنبه لهلك الناس جميعًا، فشرع الله تعالى لعباده التوبه، بل وأثابهم عليها، وأخبرنا أنه يحب التوابين؛ فقال تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وجعلهم النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خير الناسِ فقال: «وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».[2]

ثم تأمل العلة في قوله تعالى: ﴿جَاءُوكَ﴾، وقوله: ﴿وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ﴾، وما ذلك إلا لبيان شرفُ النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمو مكانته عند الله تعالى، وهكذا يجب أن تكون منزلته عند المؤمنين، ولم لا؟ وهو رسول رب العالمين، والمبعوث رحمة للعالمين.

ثم تأملْ قَولَه تَعَالَى: ﴿لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾، لتعلم أن التوبة قريبة المنال، هينة يسيرة، ولم لا؟ والله تعالى أشد فرحًا بتوبة التائب، ممن وجد راحلة بعدما أضلها بأرض فلاة، حتى أشرف على الموت؛ عَنِ عَبْدِ اللهِ بنِ مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "للَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ، مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ،

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٦٥

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٣٠٤٩، والترمذي– أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٤٩٩، وابن ماجه– كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٤٢٥١، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ".[1]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٦٣٠٨، ومسلم- كتاب التوبة، بَابٌ: فِي الْحَضِّ عَلَى التَّوْبَةِ وَالْفَرَحِ بِهَا، حديث رقم: ٢٧٤٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاحتكام إلى سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته كالاحتكام إليه حال حياته

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ....﴾! أقسم بذاته العلية، ونسب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إليه تشريفًا له، على انتفاء الإيمان عمن لا يحتكم إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند التنازع، ولا يكفيه الاحتكام إليه حتى لا يجد ضيقًا في نفسه من حكمه، ولا يكفيه هذا وذاك حتى يسلِّمَ لحكمه تسليمًا كاملًا.

تأمل هذا، وتعجب ممن ينتسب للإسلام ثم يزعم أنه لا يحتاج إلى رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لبيان كتاب الله، ومعرفة أحكام شريعته، ولا تلزمه سنته، فينسلخ عن الدين وهو يحسب أنه يحسن صنعًا؛ فإن الاحتكام إلى سنته بعد وفاته كالاحتكام إليه حال حياته.

والطعن في سنته طعن في دين رب العالمين، والإعراض عنها ضلال مبين، والتقليل من شأنها سمة المنافقين، وإن تسموا زورًا وبهتانًا بالقرآنيين.

عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَدْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ».[2]

وإنما جعل الله تعالى العصمة من الضلال بأمرين اثنين كتاب الله تعالى وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٦٥

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٣٨٧٦، وأبو داود- كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي لُزُومِ السُّنَّةِ، حديث رقم: ٤٦٠٥، والترمذي- أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا نُهِيَ عَنْهُ، أَنْ يُقَالَ عِنْدَ حَدِيثِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٢٦٦٣، وابن ماجه- المقدمة، بَابُ تَعْظِيمِ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَالتَّغْلِيظِ عَلَى مَنْ عَارَضَهُ، حديث رقم: ١٣، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

«إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».[1]

١ - رواه الحاكم- كِتَابُ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٣١٩، والدارقطني- كِتَابُ الْأَحْبَاسِ، فِي الْمَرْأَةِ تُقْتَلُ إِذَا ارْتَدَّتْ، حديث رقم: ٤٦٠٦، والبزار- حديث رقم: ٨٩٩٣، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإيمان عندهم مجرد دعوى لا دليل عليها

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾.[1]

تأولْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ﴾، لتعلم أنَّ الإيمان عند كثير من الناس لا يعدو كونه مجرد دعوى لا دليل عليها؛ لأن الذي قال ذلك هو الله تعالى الذي ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[الْقِصَصِ: ٦٩]، والذي ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غَافِرٍ: ١٩]، تمامًا كادِّعاءِ محبتهم لله تعالى مع استنكافهم عن تحكيم شريعته، وادِّعائهم محبة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يأنفون من الاقتداء به، ويطعنون في سنته، ولا يرتضون بحكمه.

قَالَ أَبُو يَعْقُوبَ النَّهْرُجُورِيُّ: كُلُّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَمْ يُوَافِقِ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ، فَدَعْوَاهُ بَاطِلَةٌ، وَكُلُّ مُحِبٍّ لَيْسَ يَخَافُ اللَّهَ، فَهُوَ مَغْرُورٌ.

وقال محمود الوراق:

تَعْصِي الْإِلَهَ وَأَنْتَ تَزْعُمُ حُبَّهُ ***** هَذَا لَعَمْرِي فِي الْقِيَاسِ شَنِيعُ

لَوْ كَانَ حُبُّكَ صَادِقًا لَأَطَعْتَهُ ***** إِنَّ الْمُحِبَّ لِمَنْ يُحِبُّ مُطِيعُ

أفحسب هؤلاء أن الإيمان بالتمنى؟ أو أنه مجرد كلمة تلوكها الألسن؟

ألا يعلم هؤلاء أن الإيمان له لوازم وتبعات، وأن من لوازمه امتثال كل أمر، واجتناب كل نهي؟

وإلا فكيف يكون مؤمنًا مَنْ يستجيبُ لله تعالى في أمر ويخالفه في أمور؟

ألم يسمع هؤلاء ما قاله الله تعالى عن اليهود: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [الْبَقَرَةِ: ٨٥]؟

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٦٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ماذا أقول له إذا وقفت بين يديه أناجيه؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾، لتعلم أن امتثال العبد أمر الله تعالى، واستجابته له، ووقوفه عند حدوده، خيرٌ له في دينه ودنياه وعاقبة أمره.

وأن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سببُ سَعَةِ الرزقِ، ورغدِ العيشِ في الدنيا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾.[2]

وهي كذلك سبب سعادة القلب، وسكينة الروح، وطمأنينة النفس؛ قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ: لَوْ عَلِمَ الْمُلُوكُ وَأَبْنَاءُ الْمُلُوكِ ما نحن فيه من السرور والنعيم، إِذًا لَجَالَدُونَا عَلَيْهِ بِأَسْيَافِهِمْ.[3]

وهي كذلك من أعظم أسباب الثبات على الإيمان، بل وزيادته؛ فإن الطاعات يجر بعضها بعضًا، وإذا عمل العبد طاعة قالت له أخرى بجانبها: اعملني.

وهي كذلك سبب عصمة العبد من الزلل؛ كان أحد العباد إذا عرضت له معصية، يقول لنفسه: ماذا أقول له إذا وقفت بين يديه أناجيه؟

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٦٦

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٩٦

٣ - تاريخ الإسلام (٤/ ٢٩٦)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أجرٌ أعظمُ مما يخطر بالبال ويدور بالخيال

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا (٦٧) وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، لتعلم رحمة الله تعالى بعباده وعظيم إحسانه لهم، وتفضله عليهم.

ثم تأملْ ثوابَ اللهِ تعالى لمن أطاعه وما أعدَّه لأوليائه، حتى أقسم على ذلك، باللام الموطئة للقسم فقال: ﴿لَآتَيْنَاهُمْ﴾، وأخبر أن ذلك الأجر محضُ فضل الله تعالى عليهم، فقال: ﴿مِنْ لَدُنَّا﴾، ثم أخبر تعالى عن مقدار ذلك الأجر فقال: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾، وإذا وصف الله تعالى شيئًا بأنه عظيم فهو أعظم مما يخطر بالبال ويدور بالخيال.

ثم تأمل ما وعدهم الله تعالى به من الهداية والاستقامة بقوله: ﴿وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾، لتعلم أنه تعالى يرضى من عباده بالقليل من العمل، ويتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، ويعطي الكثير من الأجر على العمل القليل النذر.

ثم تأمل ذكر الله تعالى لذلك الأجر بعد مخالفتهم لأمر الله تعالى، والاحتكام لغير شريعته، ليتبين لك مدى فضل الله تعالى إذ دعاهم إلى التوبة بعد العصيان والمخالفة؛ كما قال تعالى عن أصحاب الأخدود: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [الْبُرُوجِ: ١٠]، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا الْكَرَمِ وَالْجُودِ، قَتَلُوا أَوْلِيَاءَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى التَّوْبَةِ وَالرَّحْمَةِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٦٧، ٦٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من تمام النعيم في الجنة مرافقة الصفوة من الخلق في الجنة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.....﴾، لتعلم أن علة مصاحبة هؤلاء وهم صفوة الله تعالى من خلقه، إنما هي مشاركتهم في تلك الصفة العظيمة — طاعة الله تعالى – فهؤلاء أطوع البشرِ، وأسرعهم استجابة لأمر الله تعالى، فلما شاكلهم الطائعون، وتشبهوا بهم كانت مكافأتهم أن يكونوا معهم فيدخلوا مدخلهم، وينعموا برفقتهم في دار الخلد، وينالوا مما خصهم الله به من الكرامة.

ثم تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾، لتعلم أن من تمام النعيم في الجنة مرافقة الصفوة من الخلق في الجنة، فكما أن من أسباب الشقاء وضنك العيش مرافقة الأشقياء الفجار؛ كما قال أحدهم:

يلومـــونني إن بِعْـــت بالـــرخيص منـــزلي ***** وَلم يعلمـــو جـــارًا هُنَـــاكَ يـــنغّص

فَقلـــت لَهُـــم كفُّـــوا المـــلام فَإِنَّمَـــا ***** بجيرانهـــا تغلـــو الـــديار وتـــرخص

ولهذه العلة قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ ذَكَرَ الصَّلَاةَ يَوْمًا فَقَالَ: «مَنْ حَافَظَ عَلَيْهَا، كَانَتْ لَهُ نُورًا، وَبُرْهَانًا، وَنَجَاةً مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهَا، لَمْ تَكُنْ لَهُ نُورًا، وَلَا نَجَاةً، وَلَا بُرْهَانًا، وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ».[2]

فلا معنى لكينونة تارك الصلاة مَعَ قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ، وَأُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ إلا أنه سيصيبه ما أصابهم من العذاب، ويلحقه ما يلحقهم من الذل والصغار.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٦٩

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٦٥٧٦، والدارمي– حديث رقم: ٢٧٦٣، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هل بقي لأحد بعد الله فضل أو إحسان!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ...﴾، لتعلم أنَّ كلَ فضلٍ فالله تعالى مصدره، وكلَ نعمةٍ فمن فيضِ جوده، وكلَ خيره فمن عنده تعالى، وكل رفعة في الدنيا والآخرة فمن لطفه وإحسانه وتوفيقه؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾. [النَّحْلِ: ٥٣]!

ولئلا يغترَّ أحدٌ من النَّاسِ بعملِهِ فمصاحبةُ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ في الجَنَّةِ لا يرقَى إليها العبدُ بعمله وإن كثر، واجتهاده مهما بلغ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ الْجَنَّةَ» قَالُوا: وَلَا أَنْتَ؟ يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ مِنْهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ».[2]

وَتأملْ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ اللَّهِ﴾، لتعلم أن ابتداء الفضل من الله ودوامه منه تعالى، وليس لأحد من خلق الله له فيه شيءٌ؛ فمنه تعالى الخلق والإيجاد، ومنه تعالى الهداية والإرشاد، ومنه تعالى الإعانة والتوفيق والسداد، فهل بقي لأحد بعد الله فضل أو إحسان!

ثمَّ تأملْ قَولَهُ تَعَالَى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾، لتعلم أنَّ الله تعالى لا يضيع أجر المؤمنين، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فهو تعالى عليم بمن هو أهلٌ لفضله تعالى، وأهلٌ لإحسانه.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧٠

٢ – رواه البخاري– كتابُ الرِّقَاقِ، بَابُ الْقَصْدِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، حديث رقم: ٦٤٦٣، ومسلم– كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ: لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، حديث رقم: ٢٨١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يجب على المسلم أن يكون الحذر شعاره، والحيطة دثاره

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ﴾؛ لتعلم ما ينبغي أن يكون عليه أهل الإيمان من الحيطة والحذر، والفطنة والدهاء!

فلا ينبغي للمؤمن أَنْ يُخْدَعَ من أعداء الله كما لا يليق به أَنْ يَخْدَعَ.

بل يجب أن يكون الحذر شعاره، والحيطة دثاره؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لاَ يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ».[2]

وقبيح بالمسلم أن يعلمه الله تعالى عن كيد الكفار لأهل الإيمان ثم يزعم أن يحسن بهم الظن، ويرجو من ورائهم النفع، ويؤمل فيهم الخير؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨]، وكيف يحسن الظن بمن لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمة!

ألم يَسْمَعْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾![3]

وكيف لا يأخذ أهل الإيمان حذرهم وأعداء الإسلام يتحينون الفرص ويتربصون بهم الغفلة؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾.[4]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٧١

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابٌ: لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، حديث رقم: ٦١٣٣، ومسلم– كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ: لَا يُلْدَغُ الْمُؤْمِنُ مِنْ جُحْرٍ مَرَّتَيْنِ، حديث رقم: ٢٩٩٨

٣ – سورة الْمُمْتَحَنَةِ: الآية/ ٢

٤ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ١٠٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بعض الناس المقاييس عنده دنيوية محضة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَالَ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا (٧٢) وَلَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَالَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[1]

هذا حال بعض الناس، يحجم في مواطن الإقدام، ويبطئ إذا إريد منه الإيضاع؛ لأن المقاييس عنده دنيوية محضة.

ولا يعلم المسكين أن المسارعة إلى الطاعات من أولى المهمات وأجل القربات، ولم لا؟ وفيها رضى الرب تبارك وتعالى؛ ألم يقل نبي الله موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾.[2]

فإذا رأي المسارعين إلى الطاعات المبادرين للفضائل والخيرات أصابهم ما لا يسلم منه البشر من المصائب عدَّ تخلفه نعمةً، وإحجامه فوزًا، وتأخره نصرًا.

وإذا أصابهم فضلٌ من الله تعالى، وفتح الله تعالى عليهم، وحازوا الغنيمة تحسر غاية الحسرة وندم ألا يكون معهم لينال شيئًا من الغنيمة، ويرجع بلعاعة من الدنيا.

ولم يدر المسكين أن غدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَغَدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ رَوْحَةٌ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا».[3]

فاحذر أن تكون الدنيا أكبر همك ومبلغ علمك.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧٢، ٧٣

٢ – سورة طه: الآية/ ٨٤

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَابِ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، حديث رقم: ٢٧٩٢، ومسلم– كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الْغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ فِي سَبِيلِ اللهِ، حديث رقم: ١٨٨٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تبقى في نفسه غصة وإن رجع مظفرًا منتصرًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ.....﴾، لم قال: ﴿الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ﴾، ولم يقل: (فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ آمنوا)، والعلة في ذلك أنَّ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ لا تتعلق قلوبهم بشيء من الدنيا التي باعوها بالآخرة، بل وباعوا أنفسهم للهِ تعالى؛ كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾.[2]

ومن كان هذا شأنه كان أحرص ما يكون على بذل روحه ليتحقق له موعود الله تعالى، وينال كرامته، ولتلك العلة قدم الله تعالى القتل على النصر هنا فقال: ﴿فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ﴾، كأن القتل هو الغاية التي لها خرج، ومن أجلها قاتل.

ومثل هذا وإن رجع مظفرًا منتصرًا تبقى في نفسه غصة ألا يكون قد استشهد فيزف إلى الجنان، وينعم بالروح والريحان، والحور الحسان.

أما من كان قلبه معلقًا بالدنيا، فيرى القتل في سبيل الله خسرانا مبينًا، والبقاء على قيد الحياة فوزًا عظيمًا، ولتلك العلة قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "غَزَا نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِقَوْمِهِ: لاَ يَتْبَعْنِي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأَةٍ، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَبْنِيَ بِهَا؟ وَلَمَّا يَبْنِ بِهَا، وَلاَ أَحَدٌ بَنَى بُيُوتًا وَلَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلاَ أَحَدٌ اشْتَرَى غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ وِلاَدَهَا".[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧٤

٢ – سورة التَّوْبَة: الآية/ ١١١

٣ – رواه البخاري– بَابُ فَرْضِ الْخُمُسِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُحِلَّتْ لَكُمُ الْغَنَائِمُ. وَقَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَكُمُ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾، وَهِيَ لِلْعَامَّةِ حَتَّى يُبَيِّنَهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٣١٢٤، ومسلم– كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ تَحْلِيلِ الْغَنَائِمِ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ خَاصَّةً، حديث رقم: ١٧٤٧

www.alukah.net

ومثل هذا سيحجم في موطن الإقدام، ويفر حيث يجب الكر، فيضر ولا ينفع، ويسيء ولا يحسن.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لو امتثلنا أمر ربنا لسعدنا بنشر العدل وسعد الناس أجمعين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ....﴾. لتعلم أن من الحكم الجليلة من تشريع الجهاد رفع الظلم عن المستضعفين من المسلمين، الذين يئنون تحت وطأة الظلم والاضطهاد، ولا جريرة لهم إلا الإيمان بالله تعالى.

والتاريخ شاهد على تلك الجرائم التي قام بها الطغاة في الحق المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، من قتل وتحريق وتعذيب وتهجير وتشريد واستعباد وإذلال.

وهي جرائم إن دلت فإنما تدل على أن من البشر من هم أشد ضراوة من الوحوش الضواري، وأشد فتكًا من الذئاب في الغنم التي نام راعيها، وأقسى قلوبًا من الحجارة الصماء.

ففي التاريخ القديم حادثة أصحاب الأخدود، خدوا الأخاديد وأوقدوا فيه النيران لم يرحموا صغيرا لصغره ولا كبيرًا لكبره، ولا امرأة لضعفها، وقعدوا يتندرون عليهم والنار تلتهمهم، ويضحكون ملء أشداقهم على صرخاتهم، كأنما أبدلت قلوبهم قطعًا من الصخر مصمتًا؛ ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.[2]

وفي التاريخ الحديث ما هو أبشع وأشد قسوة مما حدث لأصحاب الأخدود، وهي حوادث تدمي الفؤاد، ويتفطر لها القلب كمدًا، إن كان في القلب إيمان وإسلام.

فهذه مذبحة سربرنيتسا في البوسنة والهرسك، حيث ارتكب الصرب مجزرة جماعية راح ضحيتها ثماية آلاف مسلم على مرأى ومسمع من العالم بأسره، ولا ذنب لهم سوى أنهم مسلمون.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧٥

٢ - سُورَةُ الْبُرُوجِ: الآية/ ٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه بورما يرتكب البوذيون فيها أبشع الجرائم قتلا وحرقًا وتعذيبًا للمسلمين، يحرقون البيوت على أهلها، والسعيد الذي يفر من بين أيديهم فينجو بنفسه، ويرى العالم ويسمع ولا يحرك ساكنًا.

وإنما أشرت إشارة والمآسي لا تنتهي والجراح لا تندمل.

ولو أن المسلمين امتثلوا أمر الله تعالى في الجهاد، لرفعوا الظلم عن كواهل طالمت أنَّت من أشد الأنين، وكفكفوا دموعًا للمستضعفين تجري منذ سنين، وكشفوا غمةً خيمت على قلوب المؤمنين.

ولو امتثلنا أمر ربنا لسعدنا بنشر العدل في ربوع الأرض وسعد الناس أجمعين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أهل الإيمان لهم غايةٌ واضحةٌ من الجهاد

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾، لتعلم أنَّ أهل الإيمان لهم غايةٌ واضحةٌ، أرادها الله تعالى منهم، ومقصد محدد انتدبهم الله تعالى له، القتال في سبيل الله تعالى، لا لدنيا يصيبونها، ولا لأموال يجمعونها، ولا لمناصب يريدونها، ولا لعروش يريدون تثبيتها، ولا لحمية تدفعهم، ولا لشجاعة تسوقهم إلى الميدان سوقًا.

فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا، فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ».[2]

وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كان مقصد أن يُرى مكانه، ويعلم الناس جرأته وإقدامه، فليس له من جهاده إلا ذلك، ولو تقوض في الميدان بنيانه، وتهدمت فيه أركانه، وتمزقت تحت القصف أوصاله، ومن قاتل حمية لا يخرجه إلا الدفاع عن أحساب قومه، فليس له من قتاله حظ ولا نصيب، وليس له من الأجر قليل ولا كثير، ومن قاتل رياءً وسمعة فحسبه ما قاتل من أجله، وبذل مهجته في سبيله.

وأما الذين كفروا فسبيلهم واضح، وغايتهم ظاهرة، نصب لهم الشيطان رايته، وجلى لهم أمرهم، فقتالهم لطمس معالم الدين، وتثبيت عرش شيطانهم الرجيم، ويُمَنِّيهِم بِأَنَّهم هُم الفَائِزونَ فِي الدُّنيَا وَالآخِرَةِ، ﴿يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلا غُرُورًا﴾.[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٧٦

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ، حديث رقم: ١٩٠٤

٣ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ١٢٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رحم الله عبدًا تأدب بآدب الشرع

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ.....﴾، لتعلم أن الواجب على المسلم التقيُّدَ بأحكام الشرع في كل حال، وأنه ليس لأحد أن يتقدم بين يدي الله ورسوله بحال من الأحوال.

قبل أن يشرع الجهاد في سبيل الله أُمِرَ المسلمون أن يكفوا أيدهم ويحتملوا الأذي، ويدفعوه بالإحسان، ويتحلوا بالصبر مهما اشتد عليهم الأذى، ومهما أصابهم من الضرّ.

وامتثل المسلمون أمر الله تعالى، وصبروا تحت وطأة العذاب حتى مات بعضهم من شدة التعذيب، حتى أتى خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يزحف من شدة العذاب رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ فَقال له: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا أَلاَ تَدْعُو لَنَا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ، يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهَا، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَيْنِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ، مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، فَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيَتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرُ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَالذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».[2]

وظلت طائفة قليلة يستعجلون القتال، ودفع الظلم، ومجابهة أهل الباطل، فإذا قيل لهم كفوا أيدكم فليس الوقت وقت قتال، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، بالغوا في استعجال القتال، فلما كتب الله عليهم القتال، أحجموا بعد إقدام، وتباطؤوا بعد إزماع، وظهر خوفهم، وخفتت

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧٧

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الْإِكْرَاهِ، بَابُ مَنِ اخْتَارَ الضَّرْبَ وَالْقَتْلَ وَالْهَوَانَ عَلَى الْكُفْرِ، حديث رقم: ٦٩٤٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أصواتهم، وسألوا النظرة، وآثروا القعود؛ فصدق فيهم قول القائل: (أسرع الناس للقتال أقلهم حياء في الفرار منه).

ولهذه العلة نهى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن تمني لقاء العدو؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللَّهَ العَافِيَةَ».[1]

فرحم الله عبدًا تأدب بآدب الشرع، ولم يتقدم بين يديه بقول أو فعل، واتهم رأيه، وسأل الله العافية والسلامة.

١ - رواه البخاري-كِتَابُ التَّمَنِّي، بَابُ كَرَاهِيَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ العَدُوِّ، حديث رقم: ٧٢٣٧، ومسلم-كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ كَرَاهَةِ تَمَنِّي لِقَاءِ الْعَدُوِّ، وَالْأَمْرِ بِالصَّبْرِ عِنْدَ اللِّقَاءِ، حديث رقم: ١٧٤٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدنيا دار مَنْ لا دار له، ولها يجمع مَنْ لا عقل له

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلا تُظْلَمُونَ فَتِيلا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ.....﴾، لتعلم كيف يقلل الله تعالى من شأن الدنيا وما فيها، في نظر أولئك الذي كرهوا القتال حين شُرِعَ حرصًا على الدنيا.

فالدنيا دار مَنْ لا دار له، ولها يجمع مَنْ لا عقل له.

وإذا كانت الغدوة والروحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها، وإذا كان موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، فكيف يؤثرها على الآخرة من يدعى إلى الجهاد في سبيل الله تعالى؟

ويكفي لبيان حقارة الدنيا أنها لا تعدل عند الله جناح بعوضة – ولا أحقر ولا أهون في أعين الناس من جناح البعوضة – فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ».[2]

أيليق بأولي الألباب أن يؤثروا جناح بعوضة على جنة عرضها السماوات والأرض؟

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ».[3]

أرأيت عاقلًا يحب الميتة، ويحرص على اقتنائها؟

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧٧

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حديث رقم: ٢٣٢٠، بسند صحيح

٣ – رواه مسلم– كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، حديث رقم: ٢٩٥٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيا عباد الله هذا مَثَلَ الدنيا وذاك شأنها فلا ينبغي لعاقل أن يغتر بها، أو يأمن غدرها؛ ﴿فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾.[1]

١ - سُورَةُ لُقْمَانَ: الآية/ ٣٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لو كان يعلم أن الموت أجل محتوم لكبح جماح نفسه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾، وانظر إلى حال أكثر، وتعجب كيف انصرف أكثرهم عن الآخرة!

ففريق منهم معاقرة الملذات كل همه، والانغماس في الشهوات مبلغ علمه؛ قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[2]

وفريق منهم جمع المال غاية مراده، ومنتهى أمله، لا يعرف لله فيه حقًا، ولا يصله به رحمًا، ولا يبالي أمن جمعه أم من حرام، ونسي أنه وسيلة فعبده من دون الله، فشقي به في الدنيا، وشقي به في الآخرة؛ وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ».[3]

وفريق منهم الشهرةُ أمنيته، وحديثُ الناسِ عنه هدفه الأسمى، ولا يبالي أكان ذلك بالخير أم بالشر، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَبِسَ ثَوْبَ شُهْرَةٍ أَلْبَسَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَوْبَ مَذَلَّةٍ».[4]

وفريق منهم لا يرى لوجوده غاية إلا لتحقيق مكانة دنيوية ومنزلة بين الناس، ومنصب مرموق، وشرف مزعوم، وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ».[5]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧٨

٢ – سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٧٩

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ فِتْنَةِ المالِ، حديث رقم: ٦٤٣٥

٤ – رواه أحمد– حديث رقم: ٥٦٦٤، وأبو داود– كِتَاب اللِّبَاسِ، بَابٌ فِي لُبْسِ الشُّهْرَةِ، حديث رقم: ٤٠٢٩، وابن ماجه– كِتَابُ اللِّبَاسِ، بَابُ مَنْ لَبِسَ شُهْرَةً مِنَ الثِّيَابِ، حديث رقم: ٣٦٠٦، بسند حسن

٥ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٥٧٩٤، والترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٣٧٦، والدارمي– وَمِنْ كِتَابِ الرِّقَاقِ، بَابُ: مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ، حديث رقم: ٢٧٧٢، عَنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولو كان يعلم هؤلاء جميعًا أن الموت أجل محتوم؛ وأن ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾. [آلِ عِمْرَانَ: ١٨٥]، لطامن كل واحد منهم من غلوائه، وكبح جماح نفسه، وقصر سعيه على آخرته، وبادر إلى مرضاة ربه، فإن الموت يطلبه حثيثًا، ويوشك أن يدركه.

فيا أَمَةَ اللهِ ويا عبدَ اللهِ اجعل همك الآخرة، وغاية مطلوبك رضى الله تعالى، تهن الدنيا في عينيك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إذا بلغت الآجال منتهاها، فإما إلى جنة، وإما إلى نار

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾؛ لتعلم أنه لا ملجأ ولا منجى لأحد من الموت مهما علا قدره وارتفعت منزلته، وكثر جنده، وبالغ في الحيطة والحذر، واعتصم في القصور الفارهة، والحصون المنيعة والبروج المشيدة.

فالموت كأس وكل الناس شاربه.

وكل ابن انثى وإن طالت سلامته ***** يومًا على آلة حدباء محمول

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.[2]

ولا مطمع لأحد في الخلود في الدنيا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ (٣٤) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.[3]

هو قضاء الله تعالى وحكمه، ولا رادَّ لأمره ولا معقب لحكمه؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وِالإِكْرَامِ﴾.[4]

ويذكرهم الله تعالى بالموت كل يوم ليرجع شاردهم، ويقبل دبرهم، ويتوب عاصيهم، ويؤمن كافرهم، قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يُتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢]، ومع تلك الحقيقة الظاهرة، والسنة الماضية القاهرة، لو نطق لسان حال الناس لقال عنهم: خلقنا للبقاء، وما نحن بميتين.

ويحيدون عنه بكل سبيل، ويفرون منه في كل واد؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩]، فإذا أعيتهم الحيل، وانقطعت عنهم الأسباب،

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧٨

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٥

٣ - سُورَةُ الأنبياءِ: الْآيَة/ ٣٤، ٣٥

٤ - سُورَةُ الرَّحْمَنِ: الآية/ ٢٦، ٢٧

www.alukah.net

واستوفوا أرزاقهم، وبلغت الآجال منتهاها، نزل بهم من قدر الله ما لا يرد، فإما إلى جنة، وإما إلى نار.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تأمل ما تنطوي عليه نفوسهم من البغض لدين الله تعالى!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.....﴾، لتعلم حال أولئك الفجار الذين نبذوا دين الله وراءهم ظهريًّا، وانسخلوا منه انسلاخ الحية من جلدها، وهم مع ذلك يوهمون من يراهم أنهم أصحاب الدين الحقّ، الذين يحمون بيضته، ويذبون عن حياضه، بقولهم حين تُصِيبُهُمْ حَسَنَةٌ: ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

فإذا كنتم تعرفون الله تعالى وترجون رحمته وتخافون عقابه، فلم لا تطيعون أمره؟ ولم لا تعبدونه حق عبادته؟

ولماذا إذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوبكم، وإذا ذكر الذين من دونه تستبشرون؟

ولماذا لا تريدون لشريعته أن تسود؟ ولماذا تنادون ألا يخرج الدين عن المساجد؟

ثم تأمل ما تنطوي عليه نفوسهم من البغض لدين الله تعالى حين ينسبون كل بلاء لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولسنته من بعده، ولحملة دينه من العلماء العاملين، والمتدينين الصادقين؛ بقولهم حين تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ: ﴿هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ﴾؛ أي: بشؤمك، وشؤم ما جئتنا به.

ألم يعلم هؤلاء السفهاء أن بعثة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هي أعظم حسنة لهم من الله، وأن شريعته التي لا يكفون عن الطعن فيها ليل نهار، هي مصدر عزهم في الدنيا، وسبب نجاتهم يوم القيامة؟

ألم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَنزلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ [الْأَنْبِيَاءِ: ١٠]؛ أي: شَرَفُكم ورفعتكم في الدنيا والآخرة.

ألم يسمعوا قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَى: ٥٢]، ليكفوا عن وسم أتباعه، بالأصوليين المتشددين لأنهم اتبعوا أمره واقتفوا أثره، وأخذوا بسنته!

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بلى تناهي إلى سمعهم ذلك، ويعلمونه علم اليقين ولكن ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.[1]

١ - سُورَةُ الْحَجِّ: الآيَة/ ٤٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من كمال الأدب مع الله تعالى ألا ينسب له إلا كل جميل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾، لتدرك ما ينبغي أن يكون عليه أهل الإيمان من الأدب مع الله تعالى.

الله تبارك وتعالى خالق كل شيء، خالق الخير والشر؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ومع ذلك من الأدب عدم نسبة الشر إليه تعالى تأدبًا.

وأعظم الناس أدبًا مع الله تعالى الأنبياء والرسل عليهم السلام، فهذا الخليل إبراهيم علبه السلام يقول عن الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾.[2]

وهذا نبي الله أيوب عليه السلام يقول في دعائه مخاطبا ربه تعالى: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾.[3]

وَنَادَى رَبَّهُ: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾.[4]

وتأمل حال أولئك المصطفين الأخيار، وحال إبليس عليه لعنة الله وهو يخاطب ربه بقوله: ﴿فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾. [الأعراف: ١٦]، وأين الثرا ومن الثريا؟

فمن كمال الأدب مع الله تعالى ألا ينسب له إلا كل جميل، مع اعتقادنا أنه خالق الخير والشر، وأنه يضل من يشاء ويهدي من يشاء، ولا ينتفع بتلك الآداب إلا من قدر الله حق قدره، وعظمه كما ينبغي أن يعظم.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧٩

٢ - سورة الشُّعَرَاءِ: الآية/ ٧٨- ٨٠

٣ - سورة ص: الآية/ ٤١

٤ - سورة الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ٨٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حكم الله بكفرهم، وأخبر ببغضهم، فما ظنك بحالهم عنده يوم يلقونه؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ.....﴾، لتعلم ما لطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم من أهمية في دين الله تعالى، ولتعلم ما للسنة من مكانة في التشريع!

فإن طاعة الرسول طاعة لمن أرسله، كما أن معصيته معصية لمن أرسله وأوجب الله تعالى على المؤمنين طاعته؛ فقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.[2]

ومن ذلك أن الله تعالى علق الهدى على طاعته؛ فقال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾.[3]

وحذر تعالى من مغبة مخالفة أمره فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[4]

تأمل تلك النصوص، وتأمل حال أولئك الذين أعلنوا الحرب على السنة النبوية، ونبذوها وراءهم ظهريًّا، استغناءً بالقرآن عنها بزعمهم، فلا هم أطاعوا الله تعالى إذ أمرهم في كتابه بطاعة رسوله، ولا هم تأدبوا مع رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذ بلغتهم سنته.

ثم تأمل ذلك الوعيد الذي يتضمنه قَولُه تَعَالَى: ﴿وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾!

أي ليس من شأنك أن تحاسبهم، بل مرجعهم إلينا، وحسابهم علينا.

وإذا علمت أن الله تعالى حكم بكفرهم، وأخبر ببغضهم، فما ظنك بحالهم عنده يوم يلقونه؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.[5]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨٠

٢ – سورة النساء: الآية/ ٦٤

٣ – سورة النور: الآية/ ٥٤

٤ – سورة النور: الآية/ ٦٣

٥ – سُورَةُ آل عمران: الْآيَة/ ٣٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حلاوة المنطق لا تغني عن العمل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ.....﴾، لتعلم أن بعض الناس حلو المنطق، عذب اللسان، إذا أمر بأمر يقول: يقول أمرك مطاعٌ، على العين والرأس، لَكَ مِنِّي طَاعَةٌ، أنا رهن إشارتك، لكنه قول بلا فعل، ودعوى بلا بينة.

ومتى كان يغني القول عن صاحبه شيئًا إذا أُمِر فلم يفعل؟

فإذا خطب أحدهم عن الصلاة خطبة عصماء، وجمع كل ما قيل في فضلها، وأنشد فيها قصيدة بتراء، وهو تارك للصلاة هلى يغني عنه ذلك شيئًا؟

وإذا اعترض فقير طرق غني، فسأله كسرة خبز يسكت بها جوعه، ويسد بها رمقه، فأسمعه الغني من عبارات الأسى على حاله ما لو دون لكان كتابًا، ثم تركه ومضى فهل يغني عنه شيئًا؟

هذا شأن كثير من العصاة، يؤمر بطاعة عنده فيها تقصير، أو يُنهى عن معصية له فيها جد واجتهاد، فينبري يحدثك عن أثر الطاعة على صاحبها، ولذة اجتنائها، وحلاوة طعمها، وخطر معاقرة الآثام، وسوء عاقبتها، وهو كما هو مقيم على الغيِّ، مستمرٌ على العصيان، موغل في النأي والإعراض.

وهو أولى الناس بقول القائل:

يُعطيكَ مِن طَرَفِ اللِسانِ حَلاوَةً ***** وَيَروغُ مِنكَ كَما يَروغُ الثَعلَبُ

ولم يدر المسكين أن حلاوة منطقه لا تغنيه عن العمل.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَيْرٍ اللَّيْثِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: «لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ يُعْقَلُ، وَعَمَلٌ يُعْمَلُ».[1]

وقَالَ الْحَسَنُ البَصْرِيُّ: "لَيْسَ الْإِيمَانُ بِالتَّحَلِّي وَلَا بِالتَّمَنِّي، وَلَكِنْ مَا وَقَرَ فِي الْقَلْبِ، وَصَدَّقَتْهُ الْأَعْمَالُ، مَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ غَيْرَ صَالِحٍ رَدَّهُ اللهُ عَلَى قَوْلِهِ، وَمَنْ قَالَ حَسَنًا وَعَمِلَ صَالِحًا رَفَعَهُ الْعَمَلُ".[2]

١ - رواه الخلال في كتاب السنة- بَابُ مُنَاكَحَةِ الْمُرْجِئَةِ، حديث رقم: ١٢١٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٧٣)

٢ - رواه البيهقي في شعب الإيمان- باب القول في زيادة الإيمان ونقصانه وتفاضل أهل الإيمان في إيمانهم، حديث رقم: ٦٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا طاقة لهم بمواجهة أهل الإيمان فيعملون في الظلام

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا مِنْ عِنْدِكَ بَيَّتَ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ﴾، لم قال الله تعالى: يكتب، ولم يقل: يعلم ما يبيتون؟

المنافقون لسفاهة عقولهم، يظنون أن الله تعالى كالبشر يعرض له ما يعرض للبشر من نسيان، فلو قال: والله يعلم ما يبيتون، لتوهموا أنه قد ينسى لطول العهد، حتى عاملوا الله معاملة الصبيان، فذكر الله تعالى لفظ: (يكتب)، ليكون أعظم أثرًا في نفوسهم، وأدعى لردعهم؛ لأنه أدل على البقاء الثبات.

وتأمل قوله تعالى: ﴿بَيَّتَ طَائِفَةٌ﴾، و ﴿يُبَيِّتُونَ﴾، لتعلم ما تنطوي عليه نفوسهم الخبيثة من الحقد وما يضمرونه للإسلام والمسلمين، وأنهم لا ينامون عن الكيد لهذا الدين.

ثم تأمل ضعفهم وذلهم وهوانهم وأنهم لا يعملون إلا في الظلام ولا طاقة لهم بمواجهة أهل الإيمان.

ولهوانهم وذلهم أمر الله تعالى نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإعراض عنهم لأنهم لا يستطعين معه حيلة، ولا يملكون له ضرًّا.

ثم تأمل ذلك الوعيد الذي يقرع آذنهم، ويخلق قلوبهم من أبدانهم لو كان فيها حياة: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، أن الله تعالى هو الذي سيتولى حسابهم، وسيتقتص لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منهم.

ثم تأمل وضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾، وما قال: (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِهِ وَكِيلًا)، لما للفظ الجلالة من الهيبة، التي تملأ القلوب، وتأخذ بأزمَّة النفوس.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنها خصيصة هذا الكتاب العظيم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، لتعلم أن أعداء الله الذين يحاربون دينه ويكذبون رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لم يتدبروا الْقُرْآنَ ولو للحظة واحدة، وأنى لهم التدبر وهم لا عقول لهم؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾؟[2]

عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالٌ تحول بينهم وبين قراءته، وتحول بينهم وبين سماعه، وإذا خلص إلى سمعهم تحول بينهم وبين فهمه، وتدبر معانيه؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾.[3]

وهم مع ذلك أضل سبيلًا من البهائم العجماوات، وأشد نفورًا عن الحق الحمير المستنفرات؛ قال الله تعالى عنهم: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[4]

وليس في هذا الحكم مبالغة، أو تجن عليهم فإن الأنعام تعرف الغاية التي خلقت من أجلها، ولا يعلم هؤلاء الغاية التي خلقوا من أجلها.

وهم الذين شهدوا على أنفسهم بالضلال وعدم العقل؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.[5]

وهل أدل على عدم العقل من إقدام أحد قساوستهم على إحراق القرآن على مرأى ومسمع من الناس، ولما سئل هل قرأت القرآن؟ فقال لا. هل أدل على عدم العقل من ذلك؟

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨٢

٢ - سورة مُحَمَّدٍ: الآية/ ٢٤

٣ - سورة الأنعام: الآية/ ٢٥

٤ - سورة الآعراف: الآية/ ١٧٩

٥ - سورةُ الملكِ: الآية/ ١٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنها خصيصة هذا الكتاب العظيم، أن يحرم النفع به من أعرض عنه، ولم يؤمن به، ولم يلتمس الهدى فيه، وتكبر عن الانقياد له؛ قال الله تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا﴾.[1]

١ - سورةُ الأعراف: الآية/ ١٤٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

احذر أن تهرف بما لا تعرف

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ....﴾، لتعلم أن بعض الناس لا يميز صحيح الكلام من فاسده، ولا حسنه من رديئه، يلقي الكلام على عواهنه، ولا يتدبر ما فيه، ولا ما يترتب عليه، فيفسد من حيث لا يشعر، ويسيء ويحسب أنه يحسن صنعًا.

وبعضهم يعتذر بأنه ما قال إلا ما سمع، ونسي أن رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ».[2]

وقد ينقل الكفر البواح، والشرك الصريح ولا يدري أنه شريك لقائله الأول بنشره بين الناس.

وقد ينقل الفاحشة ويرغب في الرذيلة بما تفوه به وإن كان لا يقصد؛ ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾.[3]

وقد ينقل كلامًا عن النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلم أنه لا يصح ثم يقول معتذرًا: والعهدة على الراوي، ولم يدر المسكين أن دخل في عداد الكذابين، وليس أي كذب، بل كذب يوجب النار؛ فعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ رَوَى عَنِّي حَدِيثًا وَهُوَ يُرَى أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الْكَذَّابِينَ».[4]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨٣

٢ – رواه مسلم– المقدمة، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سُمِعَ، حديث رقم: ٥

٣ – سورة النور: الآية/ ١٥

٤ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٨١٨٤، والطبراني– حديث رقم: ١٠٢٠، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنِ المغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ».[1]

وقد ينقل كلامًا فيكون سببًا في سفك الدماء وإزهاق الأرواح؛ ونسي أن من أعان على قتل مسلم ولو بكلمة كان شريكًا في قتله.

وقد ينقل كلمة سمعها بلا تثبت فيروع الآمنين، ويكدر صفوهم.

وقد ينقل كلمة فيقطع بها حبال المودة والألفة، ويعمل عمل السحر في التفريق بين المجتمعين، ونثر بذور العداوة بين المتحابين؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: إِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا الْعَضْهُ؟ هِيَ النَّمِيمَةُ الْقَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ».[2]

فاحذر أن تهرف بما لا تعرف أو تتحدث بكل ما سمعت، فتسيء وأنت تحسب أن تحسن، وتفسد وأنت تظن أنك من المصلحين.

---

١ - رواه البخاري- كتَاب الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ النِّيَاحَةِ عَلَى الْمَيِّتِ، حديث رقم: ١٢٩١، ومسلم- المقدمة، بَابٌ فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٤

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ النَّمِيمَةِ، حديث رقم: ٢٦٠٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الله تعالى فاضل بين عقول الناس كما فاضل بين أرزاقهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾، لتعلم أن أعظم أسباب نجاة المؤمن الوقوف عند حدود الشرع، وعدم التقدم بين يدي الله ورسوله؛ كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الْحُجُرَاتِ: ١]، فمن كان يرجع في كل صغيرة وكبيرة إلى كتاب الله تعالى، وإلى سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلى أولي العلم، سلم له دينه، واستقام له أمره، وذهب الخلاف بين الناس، وانحلت كثير من المشكلات.

وتأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ﴾، لماذا قال الله تعالى ﴿وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ﴾؟ وما قال: (وأُولِي الْأَمْرِ)؟

قال تعالى: ﴿وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ﴾، ليبين أن رتبة أولي الأمر بعد رتبة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو قال: (وأُولِي الْأَمْرِ)، لأفادت الواو التسوية بين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأولي الأمر.

ولما كان دين الله تعالى صالحًا لكل زمان ومكان كان معنى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ﴾، يعني إلى سنته بعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾؛ لتعلم أن الله تعالى قد فاضل بين عقول الناس وأفهامهم كما فاضل بين أرزاقهم، فما يخفى على بعض الناس يظهر جليًّا لآخرين، وما يستعصي فهمه على كثير من الناس يدركه بعضهم لأول وهلة.

ثم تأملْ قَولَه تَعَالَى: ﴿يَسْتَنْبِطُونَهُ﴾؛ لتعلم أن استخراج الحكم من باطن الحدث يحتاج إلى علم وفهم ودربة ومهارة، كاستخراج الماء من باطن الأرض.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فضل الله على عباده المؤمنين أنه عصمهم من الشيطان وحال بينه وبينهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾، لتعلم أنه لا غنى للعباد عن الله تعالى طرفة عين، ولولا عناية الله تعالى بأوليائه لاستحوذ عليهم الشيطان.

فقد أقسم الشيطان على إضلال بني آدم قَالَ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾.[2]

وتوعدهم بالقعود لهم في طريقهم إلى الله تعالى؛ ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لأقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧]، فلا نجاة للعباد منه إلا بالاعتصاد بحبل الله، الالتجاء إلى حماه.

ومن فضل الله تعالى على العباد أنه دلهم على سبل النجاة وبين لهم معالم الصراط المستقيم، فعَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ ذِئْبُ الْإِنْسَانِ كَذِئْبِ الْغَنَمِ، يَأْخُذُ الْقَاصِيَةَ وَالشَّارِدَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَالشِّعَابَ، وَعَلَيْكُمْ بِالْعَامَّةِ، وَالْجَمَاعَةِ وَالْمَسَاجِدِ».[3]

ومن فضله تعالى على عباده المؤمنين أنه عصمهم من الشيطان وحال بينه وبينهم، فلا سبيل له إليهم ولا سلطان له عليهم؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ (٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾.[4]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٨٣

٢ – سورة ص: الآية/ ٨٢، ٨٣

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٢٠٢٩، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ٣٤٤، بسند حسن

٤ – سورة الحجر: الآية/ ٣٩– ٤٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإذا زلت بهم الأقدام أو ضلت منهم الأفهام فقد شرع لهم التوبة تكفيرًا للخطايا وتطهيرًا من الآثام؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾.[1]

١ - سورة النساء: الآية/ ٢٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في كل بقعة من أرض الله جراح تنزف، ودماء تسيل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنْكِيلًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾؛ لتعلم أنه لا يكف بأس الذين كفروا عن أهل الإيمان إلا الجهاد في سبيل الله تعالى.

لأن الذين كفروا لا يردعهم عن الظلم رادع، ولا يمنعهم عن الطغيان مانع، كما قال الله تعالى: ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلا وَلا ذِمَّةً﴾.[2]

فكم من دماء أريقت!

وكم من أرواح أزهقت!

وكم من أعراض انتهكت!

وكم من أناس هجروا من أوطانهم! لا لجريرة ارتكبوها، ولا لجرم اقترفوه إلا لإيمانهم بالله تعالى؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.[3]

وما تجرأ أعداء الإسلام على المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها إلا حين علموا أنهم في مأمن من العقاب، وأنه لا بواكي لهؤلاء المستضعفين، فظنوا أن دماءهم، وأعراضهم، وأموالهم كلأ مباحًا، وعرضًا مستباحًا.

ففي كل بقعة من أرض الله جراح تنزف، ودماء تسيل، والعالم يغض الطرف، عن تلك الجرائم الشنيعة، والأعمال البشعة القبيحة، فقط لأن الأضحية مسلمون.

ولا يرفع ذلك الظلم، ويكشف تلك الغمة إلا بعودة المسلمين إلى دينهم كما أنزله الله تعالى، بكل ما فيه من أحكام ومنها تشريع الجهاد في سبيل لله تعالى.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨٤

٢ - سورة التوبة: الاية/ ١٠

٣ - سورة الْبُرُوجِ: الآية/ ٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فإن العالم اليوم لا يفهم إلا لغة واحدة هي لغة القوة، فهي اللسان لمن أراد فصاحة، وهي السلاح لمن أراد قتالًا.

ولا يستقيم أمر العالم إلا وزمام أمره بيد المسلمين، ولا يتحقق السلام في الأرض إلا بذلك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

البخيل من يبخل بجاهه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾، لتعلم فضل الشفاعة وما لها من الأثر على الشافع والمشفوع فيه، فمنهم من يشفع لإيصال حق مسلوب، ومنهم من يشفع لرفع ظلم واقع، ومنهم من يشفع لجمع شمل، ومنهم من يشفع لفض نزاع، ومنهم من يشفع لحقن دم، ومنهم من يشفع للصلح بين الناس، وغيرها من أسباب الشفاعة المشروعة.

تأمل ذلك الأجر العظيم لمن يشفع لحقن دماء كان يمكن أن تراق لولا شفاعته، وحفظ أرواح كان يمكن أن تزهق لولا شفاعته، تأمل ماله من الأجر في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعْ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا﴾، مع قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾.[2]

وتأمل حض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الشفاعة، والترغيب فيها قُبِلَتْ أم لم تُقبَل؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا جَاءَهُ السَّائِلُ أَوْ طُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَةٌ قَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا شَاءَ».[3]

تأمل ذلك الأجر العظيم، وذلك الخير العميم، وتأمل حال بعض الناس حين يبخل بجاهه، فيحرم نفسه الأجر ويحرم غيره الخير؛ وقد قيل: (البخيل من يبخل بجاهه).

وقد شفع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشُفِعَ إليه؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ زَوْجَ بَرِيرَةَ كَانَ عَبْدًا يُقَالُ لَهُ: مُغِيثٌ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَطُوفُ خَلْفَهَا يَبْكِي وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨٥

٢ – سورة المائدة: الآية/ ٣٢

٣ – رواه البخاري– كتاب الزكاة، بَابُ التَّحْرِيضِ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالشَّفَاعَةِ فِيهَا، حديث رقم: ١٤٣٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْعَبَّاسِ: «يَا عَبَّاسُ أَلَا تَعْجَبُ مِنْ شِدَّةِ حُبِّ مُغِيثٍ بَرِيرَةَ، وَمِنْ شِدَّةِ بُغْضِ بَرِيرَةَ مُغِيثًا» فَقَالَ لَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ رَاجَعْتِيهِ فَإِنَّهُ أَبُو وَلَدِكِ» قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَأْمُرُنِي؟ فَقَالَ: «إِنَّمَا أَنَا شَافِعٌ» قَالَتْ: فَلَا حَاجَةَ لِي فِيهِ.[1]

وقد قيل:

ساعد بجاهك من يغشاك مفتقرًا ***** فالجود بالجاه مثل الجود بالمال

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ شَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي زَوْجِ بَرِيرَةَ، حديث رقم: ٥٢٨٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جاء الإسلام فتبدلت المساوئ محاسن، والرذائل فضائل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا﴾.[1]

تأمل ذلك الرقي الرائع، وتلك الآداب العظيمة، وتلك الشمائل الشريفة التي جاء بها الإسلام، فتبدلت بها تلك الأمة التي نشأت في تلك الصحراء المترامية الأطراف، البعيدة كل البعد عن المدنية والحضارة، بل كانت تعتاش على السلب والنهب والإغارة على من حولهم؛ كما قَالَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، لِلنَّجَاشِيِّ: (أَيُّهَا الْمَلِكُ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ، نَعْبُدُ الْأَصْنَامَ، وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ، وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ، وَنَقْطَعُ الْأَرْحَامَ، وَنُسِيءُ الْجِوَارَ، وَيَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ، حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولًا مِنَّا، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ..).[2]

فلما جاء الإسلام تبدل من الناس كل شيء حتى تبدلت المساوئ محاسن، والرذائل فضائل، والشر خيرًا والمنكر معروفًا، والغلظة رقة، والفظاظة رحمة ورأفة، حتى انسلخ أهل الإيمان من جاهليتهم، وطرحوها بكل ما فيها وراءهم ظهريًّا.

وابتعث الله أمة لم تعرف لها البشرية مثيلًا، حملوا مشاعل الإيمان فأضاءت جنبات الكون بنور الإيمان بعدما ظلت في غياهب الكفر قرونًا متطاولة.

وحرروا العباد من عبودية الخلق، بعدما ظلت البشرية ترسف في أغلال الجهل أحقابًا متعاقبة.

وما من فضيلة مرت على البشرية إلا ووجد في تلك الأمة منها أعدادًا متكاثرة.

وبنى بهم الإسلام بفضل تعاليمه السامية مجدًا بلغ من العلا مبلغًا يسامى الثريَّا، ويسامق الجوزاء، ويطاول السماء.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨٦

٢ - سيرة ابن هشام (١/ ٣٣٦)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن تلك الآداب التي رفع الله تعالى بها شأن الأمة بعد الإيمان وجوب رد التحية بأحسن منها، أو ردَّها كما هي، ومن هذه الآداب ما رواه البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الماشِي، وَالماشِي عَلَى القَاعِدِ، وَالقَلِيلُ عَلَى الكَثِيرِ».[1]

ووعد الله تعالى عليها بالأجر الجزيل على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وفصل لنا آداب السلام تفصيلًا، فعَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَرَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَشْرٌ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ» ثُمَّ جَاءَ آخَرُ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَرَدَّ عَلَيْهِ، فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ».[2]

فتأمل ذلك الأثر العظيم لتحية الإسلام والتي تعني: أنت سالم مني، وأرجو لك رحمة الله، بعد أن كان يلقى الرجل الرجل فلا يفترقان إلا وأحدهما قتيل سليب! حتى قال الشاعر:

عَوَى الذِّئبُ فَاسْتأنَسْتُ لِلذِّئْبِ إذْ عَوَى ***** وَصَــوّتَ إِنْسَــانٌ فَكِــدْتُ أَطِــيرُ

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الِاسْتِئْذَانِ، بَابُ تَسْلِيمِ الرَّاكِبِ عَلَى الْمَاشِي، حديث رقم: ٦٢٣٢، ومسلم- كِتَابُ السَّلَامِ، بَابٌ: يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَى الْمَاشِي، وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ، حديث رقم: ٢١٦٠

٢ - رواه أبو داود- كِتَاب الْأَدَبِ، بَابُ كَيْفَ السَّلَامُ؟ حديث رقم: ٥١٩٥، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أكد الله وقوع البعث ليزيل من النفس كل شك، ويكشف عنها كل شبهة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، وكيف يقرر الله تعالى تلك الحقيقة العظيمة، وذلك الحدث الرهيب وهو جمع الخلائق جميعًا علويهم وسفليهم، الملائكة والأنس والجن والوحش وما لا نعلم من خلق الله تعالى، يجمعهم الله تعالى في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، للعرض على الملك الجبار!

وربما توهم متوهم أن هذا الجمع العظيم لبعض الخلق دون بعض، لذلك صدَّر الله تعالى الآية ببيان تفرده بالألوهية، وأن ما سواه مخلوق له وعبدٌ ذليلٌ بين يديه تعالى، تجري عليه أقدار الله تعالى، ولا يستطيع لها دفعًا، ويشمله أمر الله تعالى ولا يملك له ردًّا؛ ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِلا آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا* لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾ [مَرْيَمَ: ٩٣ -٩٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾.[2]

ولما جحد كثير من الناس البعث بعد الموت، وأنكروا الحشر والحساب، وتغافل عنه كثير ممن يؤمنون به أكد الله تعالى وقوعه باللام المؤطئة للقسم؛ فقال: ﴿لَيَجْمَعَنَّكُمْ﴾، ليزيل من النفس كل شك، ويكشف عنها كل شبهة، ثم أكد وقوعه بتعيين وقته وبيان غايته فقال: ﴿إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، وعدي (يجمع) بـ (إلى) ليتضمن معنى (يحشر).

ثم أكد وقوعه تأكيدًا ثالثًا فقال: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، فهو أمرٌ واقع لا محالة، ويقيني لا يتطرق إليه شك، ولا يخالطه ريب.

ثم أكده تأكيدًا رابعًا فقال: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾، وهو سؤال الغرض منه التقرير، فلا أصدق من الله قيلًا، ولا أصدق منه حديثًا، فما وعد به كائن لا محالة، وما أخبر به واقع لا ريب، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨٧

٢ - سورة الْكَهْفِ: الآية/ ٤٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومع ذلك نرى ونسمع من يتبجح بإنكار البعث، ونفي الحساب والجزاء، وصدق الله: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.[1]

١ - سورة الحَجّ: الآية/ ٤٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كم من مخالفة أوقعت صاحبها في غياهب الضلال

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي الْمُنَافِقِينَ فِئَتَيْنِ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمْ بِمَا كَسَبُوا﴾؛ لتعلم أثر على أصحابها!

قد يذنب العبد ذنبًا فيكون فيه هلاكه، كما قد يتعثر أحدهم فتدق رقبته؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ».[2]

فكم من مخالفة لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم، أوقعت صاحبها في غياهب الضلال، وحادت به عن قصد السبيل، ومالت به ميلًا عظيمًا، فاعوج بعد استقامة، وانحرف بعد اعتدال، وضل بعد هدى.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[3]

عَنْ ضَمْضَمِ بْنِ جَوْسٍ الْيَمَامِيِّ، قَالَ: قَالَ لِي أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا يَمَامِيُّ، لَا تَقُولَنَّ لِرَجُلٍ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا. قُلْتُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، إِنَّ هَذِهِ لَكَلِمَةٌ يَقُولُهَا أَحَدُنَا لِأَخِيهِ وَصَاحِبِهِ إِذَا غَضِبَ. قَالَ: فَلَا تَقُلْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "كَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلَانِ، كَانَ أَحَدُهُمَا مُجْتَهِدًا فِي الْعِبَادَةِ، وَكَانَ الْآخَرُ مُسْرِفًا عَلَى نَفْسِهِ، فَكَانَا مُتَآخِيَيْنِ، فَكَانَ الْمُجْتَهِدُ لَا يَزَالُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى ذَنْبٍ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، أَقْصِرْ. فَيَقُولُ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ " قَالَ: "إِلَى أَنْ رَآهُ يَوْمًا عَلَى ذَنْبٍ اسْتَعْظَمَهُ، فَقَالَ لَهُ: وَيْحَكَ، أَقْصِرْ. قَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي، أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا"، قَالَ: "فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ أَبَدًا. قَالَ أَحَدُهُمَا، قَالَ: فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمَا مَلَكًا، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، وَاجْتَمَعَا عِنْدَهُ، فَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي. وَقَالَ لِلْآخَرِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا،

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٨٨

٢ – رواه البخاري– كتاب الرِّقَاقِ، بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ، حديث رقم: ٦٤٧٨

٣ – سُورَةُ النُّورِ: الآية/ ٦٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَكُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا، اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ". قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسُ أَبِي الْقَاسِمِ بِيَدِهِ، لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ».[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٨٢٧٥، وأبو داود- كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ البَغْيِ، حديث رقم: ٤٩٠١، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليعلم العباد مدى افتقارهم إلى الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿أَتُرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ﴾، لتعلم أن الهدى والضلال بيد الله تعالى وحده، لا يقدر عليه غيره ولا يملكه سواه؛ قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [النحل: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ﴾ [الرعد: ٢٧]، لحكمة بالغة قضاها، والله تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد؛ والله تعالى ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.[2]

ولتعلم كذلك أن من أضله الله تعالى فلا يملك أحد من الخلق هدايته، ولا ينصره من الله ناصر، ولو اجتمع له من بأقطارها؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.[3]

وأن من أضله الله تعالى فلا يغني عنه حسب ولا نسب؛ قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾. [التحريم: ١٠]، وقال تعالى لرسوله محمدٍ صلى الله عليه وسلم: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.[4]

وأن من أضله الله تعالى فلن تجد له سبيلًا يسلكه للهدايه، أو يخلص إليه من الضلال.

والله تعالى مع ذلك يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا؛ ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.[5]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨٨

٢ – سورة الأَنبياءِ: الآية/ ٣٣

٣ – سورة الروم: الآية/ ٢٩

٤ – سورة الْقِصَصِ: الآية/ ٥٦

٥ – سورة فصلت: الآية/ ٤٦

ليعلم العباد شدة حاجتهم إلى الله تعالى، ومدى افتقارهم إليه في كل حركة وسكنة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

غيض من فيض، وقليل من كثير، ونقطة من بحر عداوة الكفار للمسلمين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾، لتعلم ما للمؤمنين عند أعداء الله تعالى!

يخبرنا الله تعالى وهو علام الغيوب، الذي يعلم السر وأخفى، أن الكفار يودون من قرارة نفوسهم، لو كفر المسلمون بربهم، وسلكوا سبيلهم، حتى لا يكونوا مثلهم في الضلال، ولا يكون لهم عليهم فضل؛ كما قيل: (ودت الزانية لو زنت النساء)، وهذا المذكور هنا غيض من فيض، وقليل من كثير، ونقطة من بحر تلك العداوة والبغضاء التي عند الكفار للمسلمين.

ومن ذلك أنهم لا يريدون للمسلمين من الخير قليلًا ولا كثيرًا؛ قال تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنزلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.[2]

ومن ذلك حرصهم الشديد على اضطراب أمور المسلمين، وافتعال ما يشق عليهم؛ قال تعالى: ﴿لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَاعَنِتُّمْ﴾.[3]

ومن ذلك إعلان البغض للإسلام والمسلمين والتصريح بالإساءة لهم ولدينهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم؛ ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾.[4]

ومن ذلك حرصهم الشديد على صَدِّ الناس عن دين الإسلام وإلصاق كل نقيصة به افتراءً عليه، وبذل الأموال ببذخ لتحقيق مآربهم؛ ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾.[5]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٨٩

٢ – سورة البقرة: الآية/ ١٠٥

٣ – سورة آل عمران: الآية/ ١١٨

٤ – سورة آل عمران: الآية/ ١١٨

٥ – سورة الأنفال: الآية/ ٣٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن ذلك تحيُّن الفرصِ واهتبال الغفلة للانقضاض على المسلمين؛ لاستصال شأفتهم، وإبادة خضرائهم؛ قال تعالى: ﴿وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً﴾.[1]

ومن ذلك التفنن في بذل المغريات؛ لصرف المسلمين عن دين؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ﴾.[2]

١ - سورة النساء: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة العنكبوت: الآية/ ١٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من أعظم الآثام إقامة المسلم بين ظهراني الكفار مع عجزه عن عبادة ربه وإظهار دينه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾، لتعلم أن إقامة المسلم بين ظهراني الكفار مع عدم تمكنه من إظهار دينه، وعجزه عن عبادة ربه من أعظم الآثام، وأخطر الذنوب.

ولتعلم أنه لا تُقبَلُ دعوى بغير دليل، ولا يغني حسن القصد عن سوء العمل، فكم ممن يحسن الكلام، وينمق الألفاظ، وهو يضمر العداوة والبغضاء؛ وكم ممن يظهر الصلاح، وقد خبثت طويته وفسددت سريرته؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ (٢٠٤) وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ (٢٠٥) وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.[4]

ثم تأمل قول الله تعالى: ﴿حَتَّى يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، لتعلم أن الطاعة لا تغني عن صاحبها شيئًا إذا كانت لغير الله تعالى؛ فعَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٨٩

٢ – سُورَةُ البقرة: الآيَة/ ٢٠٤– ٢٠٦

٣ – سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ: الآية/ ٤

٤ – سورة آل عمران: الآية/ ١٦٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ».[1]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، بَابُ النِّيَّةِ فِي الْأَيْمَانِ، حديث رقم: ٦٦٨٩، ومسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ قَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ. وَأَنَّهُ يَدْخُلُ فِيهِ الْغَزْوُ وَغَيْرُهُ مِنَ الْأَعْمَالِ، حديث رقم: ١٩٠٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعظم ورطة يمكن أن يقع فيها أحدٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾؛ لتعلم أن الإيمان هو أعظم ما يحول بين إراقة دماء، ولولا الإيمان لأكل القوي الضعفَ، وبطشَ الكبيرُ بالصغيرِ.

وتأمل ذلك التعبير ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا﴾؛ لتعلم شناعة القتل، وبشاعة سفك الدماء، وأثر القتل العمد على الإيمان، كأنه قال: (محال أن يكون مؤمنًا ويُقدم على تلك الجريمة النكراء).

نعم محال أن يكون مؤمنًا ويُقدم على تلك الجريمة الشنيعة؛ التي تكاد أن تستأصل الإيمان؛ فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ فِي فُسْحَةٍ مِنْ دِينِهِ، مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا».[2]

بل إن أعظم ورطة يمكن أن يقع فيها أحدٌ أن يسفك دمًا حرامًا، ويقتل نفسًا معصومة؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، قَالَ: «إِنَّ مِنْ وَرَطَاتِ الأُمُورِ، الَّتِي لاَ مَخْرَجَ لِمَنْ أَوْقَعَ نَفْسَهُ فِيهَا، سَفْكَ الدَّمِ الحَرَامِ بِغَيْرِ حِلِّهِ».[3]

وهي أعظم ورطة لأنه ارتكب أعظم جرمًا بعد الشرك بالله تعالى؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٩٢

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الدِّيَاتِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، حديث رقم: ٦٨٦٢

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ الدِّيَاتِ، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ﴾، حديث رقم: ٦٨٦٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بِاللَّهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المحْصَنَاتِ المؤْمِنَاتِ الغَافِلاَتِ».[1]

وإذا كان من أسباب الطرد من رحمة الله تعالى الإشارة للمسلم بأداة تؤدي إلى القتل فكيف بمن قتل بالفعل؛ عَنِ ابْنِ سِيرِينَ، سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَشَارَ إِلَى أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ، حَتَّى يَدَعَهُ وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لِأَبِيهِ وَأُمِّهِ».[2]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الْوَصَايَا، بَابُ قَوْلِ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾، حديث رقم: ٢٧٦٦، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ الْكَبَائِرِ وَأَكْبَرِهَا، حديث رقم: ٨٩

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْإِشَارَةِ بِالسِّلَاحِ إِلَى مُسْلِمٍ، حديث رقم: ٢٦١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأن يلقى المسلمُ ربَّه بكل ذنبٍ أهونُ من أن يلقاه قاتلًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا....﴾؛ لتعلم أنَّ أعظم ذنب يمكن أن يلقى به العبد ربه تبارك وتعالى بعد الشرك بالله هو قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

ومما يدل على ذلك أن أعظم وعيد ورد في كتاب الله تعالى هو الوعيد على قتل المؤمن عمدًا، الوارد في هذه الآية، فقد توعده الله تعالى بخمس عقوبات تطيش لها الألباب، وتقشعر من هولها الأبدان، وتشيب لها نواصي الولدان.

أولها: الوعيد بدخول جهنم، وكفى بجنهم سعيرًا.

وثانيها: الخلود في النار، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها.

وثالثها: غضب الله تعالى.

ورابعها: الطرد من رحمة الله تعالى، باللعنة التي تطارده حيًّا وميتًا.

والخامس: عذاب عظيم لا يعلم قدر عظمته إلا الله، أعده الله وهيئ له ينتظره.

ومما يدل على خطر القتل وسوء عاقبة القاتل من ثبت عنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَرَأَيْتَ رَجُلًا قَتَلَ مُؤْمِنًا؟ قَالَ: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿جَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾، قَالَ: فَقَالَ: يَا ابْنَ عَبَّاسٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا؟ قَالَ: ثَكِلَتْهُ أُمُّهُ، وَأَنَّى لَهُ التَّوْبَةُ؟ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ الْمَقْتُولَ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَعَلِّقًا رَأْسَهُ

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٩٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِيَمِينِهِ – أَوْ قَالَ: بِشِمَالِهِ – آخِذًا صَاحِبَهُ بِيَدِهِ الْأُخْرَى، تَشْخَبُ أَوْدَاجُهُ دَمًا، فِي قُبُلِ عَرْشِ الرَّحْمَنِ، فَيَقُولُ: رَبِّ، سَلْ هَذَا فِيمَ قَتَلَنِي؟".[1]

فاحذر يا عبد الله من القتل، فلأن يلقى المسلم ربه بكل ذنب أهون عليه من أن يلقى الله قاتلًا.

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٦٨٣، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كم من أرحام قطعت لقولٍ قيل لم يتبين مرادُ قائله!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾؛ لتعلم أن أكثر ما يكون بين المسلمين من عداوات، وأغلب ما يحدث بينهم من مشاحنات سببه عدم التثبت مما يسمعونه من أقوال، وعدم التبين مما يرونه من الأفعال؛ فكم من أرحام قطعت لقول قيل لم يتبين مراد قائله!

وكم من وشائج انفصمت عُرَاها لأفعال حُمِلَت على غير محملها، وأولت على غير تأويلها!

وتأمل قَولَه: ﴿وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾؛ لتعلم خطرَ إطلاقِ الإحكام على المؤمنين جزافًا، وخطرَ رمي المؤمنين بالكفر بلا بينة أو دليل قاطع.

من أعظم الذنوب التي يمكن أن يقع فيه المسلم أن يرمي غيره من أهل الإيمان بالكفر؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا».[2]

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالْكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوُّ اللهِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ».[3]

ومكمن الخطر في الحكم على الناس بالكفر بلا بينة ما يترتب على ذلك الحكم من الاعتداد بالنفس، وعجب ذلك الإنسان بعمله؛ لاعتقاده هلاك الناس، ونفي الخيرية عنهم؛

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٩٤

٢ – رواه مالك– كِتَابُ الْكَلَامِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الْكَلَامِ، حديث رقم: ١، وأحمد– حديث رقم: ٥٩١٤، والبخاري في الأدب المفرد– بَابُ مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، حديث رقم: ٤٣٩، بسند صحيح

٣ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ حَالِ إِيمَانِ مَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ، حديث رقم: ٦١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ».[1]

وأيضًا لما يترتب على ذلك غالبا من استحلال الدماء المعصومة والأموال المحرمة؛ كما حدث من محلم بن جثامة حين قتل عامر بن الأضبط لشيء كان بينه وبينه في الجاهلية وأخذ بعيره، فكان سبب نزول هذه الآية.

فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ أَبِي حَدْرَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى إِضَم، فَخَرَجْتُ فِي نَفَرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فِيهِمْ: أَبُو قَتَادَةَ الْحَارِثُ بْنُ رِبْعِي، وَمُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامة بْنِ قَيْسٍ، فَخَرَجْنَا حَتَّى إذا كنا ببطن إضَم مَرَّ بِنَا عَامِرُ بْنُ الْأَضْبَطِ الْأَشْجَعِيُّ، عَلَى قَعُود لَهُ، مَعَهُ مُتَيَّع ووَطْب مِنْ لَبَنٍ، فَلَمَّا مَرَّ بِنَا سَلَّمَ عَلَيْنَا، فَأَمْسَكْنَا عَنْهُ، وَحَمَلَ عَلَيْهِ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ فَقَتَلَهُ، بِشَيْءٍ كان بينه وبينه، وأخذ بعيره مُتَيَّعه، فَلَمَّا قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَخْبَرْنَاهُ الْخَبَرَ، نَزَلَ فِينَا الْقُرْآنُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا﴾.[2]

١ – رواه مسلم– كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ هَلَكَ النَّاسُ، حديث رقم: ٢٦٢٣

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٣٨٨١، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

طلب الرفعة بالحط من قدر الغير

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.[1]

تأملْ قَولَه تَعَالَى: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، بعد الأمر بالتثبت والنهي عن إطلاق أحكام الكفر جزافًا على المسلمين لتعلم علة إطلاق تلك الأحكام غالبًا عند من يفعل ذلك ابتغاء عرض دنيوي، كاستحلال أموال الناس، أو طلب الرفعة والشرف بالحط من قدر الغير.

وهذان من أعظم شهوات النفس، ومن أشدها تمكنًا من قلب العبد إذا ترك العبد لها نفسه، وأرخى لها زمامه، وقد رأينا أولئك الذين يستهينون بتلك الأحكام، لا يتورعون عن أكل أموال الناس بالباطل، ورميهم بكل نقيصة، والحط من قدرهم في كل موطن مع اعتداد الواحد منهم بنفسه، حتى يكاد يرفع نفسه إلى مصاف الرسل، ولا يبالي في سبيل تحقيق ذلك بمن طعن فيه، ولا بمن شنع عليه، ولا بمن عاب قوله، ولا بمن سفه رأيه، بل لايبالي بمن أهدر دمه، بل لا يبالي بالحكم على الناس جميعًا بالهلاك، ولا يدري المسكين أن بذلك أول الهالكين؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: "إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ".[2]

وما قال ما قال ولا فعل ما فعل إلا ليرتفع قدره وتعلو رتبته، ويذيع في الناس صيته ولا يدري أنه أفسد دينه، في سبيل تحقيق شرف مزعوم، وعرض زائل، ورفعة متوهَّمة؛ فعَنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ».[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٩٤

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قَوْلِ هَلَكَ النَّاسُ، حديث رقم: ٢٦٢٣

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٥٧٩٤، والترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٣٧٦، والدارمي– وَمِنْ كِتَابِ الرِّقَاقِ، بَابُ: مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ، حديث رقم: ٢٧٧٢، عَنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا تحتقر فقيرًا لفقره ولا جاهلًا لجهله فكذلك كنت فَمَنَّ الله عليك

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾، وتعجب من حال هذا الذي يسخر من غيره لجهله، ولا يكف عن لومه وتوبيخه إذا سأل عما يحتاج إليه من دينه، ونسي ذلك المسكين أنه كان أجهل منه، بل كان لا يعلم شيئًا على الإطلاق؛ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾ [النحل: ٧٨]، فما وُلِدَ أحدٌ عالِمًا، وما كان له أن يعلم لولا فضل الله تعالى عليه؛ ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨]، وسائل الإدراك، وتحصيل المعارف لتشكروا الله تعالى على إفضاله عليكم وإحسانه إليكم؛ فله وحده الفضل المنة، فله الحمد، فاعلم يقينًا أنه هو الذي ﴿عَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، فلا تتعالى بعلمك، وتذكر: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾.

وتعجب من هذا الذي يأنف من مجالسة فقير، ويستنكف عن مصافحته، ويعبس إذا رآه، ويشمخ بأنفه إذا خاطبه؛ ونسي المسكين أنه كان أشدَّ منه عوزًا، وأكثرَ فقرًا، وأضعفَ منه حالًا، ولولا تلك الحجب التي تكاثفت على بصيرته، وذلك الران الذي خيم على قلبه، لعلم أنه كان فقيرًا فأغناه الله، وضيعًا فرفعه الله، ونسي أن المالَ مالُ الله تعالى: ﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾ [النور: ٣٣]، وإنما هو عارية يوشك أن تسترد؛ ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾.[2]

ونسي أن الأيام دول، وأن الدهر يتقلب بأهله، وأن الله تعالى يعز من يشاء ويذل من يشاء، وأنه تعالى يعطي من يشاء ويمنع من يشاء لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، أما سمعت يا من هذا شأنه قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا﴾.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٩٤

٢ – سورة الحديد: الآية/ ٧

فاحذر يا عبد الله سطوة المال، وبطش الغنى بأهله، فقد أدال دولًا، وأزال ممالك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سبب رفعة هذه الأمة وسبيل عزها بين الأمم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ.....﴾، لتعلم ما للجهاد في سبيل الله من مكانة سامية ومنزلة شريفة منيفة!

وكيف يستوي القاعد والمجاهد في سبيل الله، وقد بذل المجاهد نفسه لإعلاء كلمة الله، وخاض غمار الموت طمعًا في الفوز بمحبة الله، وابتغاء مرضاته؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾.[2]

ووباع نفسه وماله لله تعالى طمعًا فيما عنده؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[3]

وكيف يستويان والجهاد في سبيل الله من أعظم أسباب دخول الجنة؛ فعَنْ بَشِيرِ ابْنِ الْخَصَاصِيَةِ السَّدُوسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُبَايِعَهُ، فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ: «تَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَتُصَلِّي الْخَمْسَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ، وَتُؤَدِّي الزَّكَاةَ، وَتَحُجُّ الْبَيْتَ، وَتُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ». فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا اثْنَتَانِ فَلَا أُطِيقُهُمَا: فَوَاللَّهِ مَا لِي إِلَّا عَشْرُ ذَوْدٍ، رِسْلُ أَهْلِي وَحَمُولَتُهُمْ، وَأَمَّا الْجِهَادُ، فَيَزْعُمُونَ أَنَّهُ مَنْ وَلَّى بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، فَأَخَافُ إِذَا حَضَرَ قِتَالٌ جَشِعَتْ نَفْسِي، وَكَرِهْتُ الْمَوْتَ.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٩٥

٢ – سُورَةُ الصَّفِّ: الْآيَة/ ٤

٣ – سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآية/ ١١١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَقَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، ثُمَّ حَرَّكَهَا، ثُمَّ قَالَ: «لَا صَدَقَةَ وَلَا جِهَادَ، فَبِمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ؟» فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِنَّ كُلِّهِنَّ.[1]

وهل تُنَالُ الدرجاتُ العُلَى في الجنة إلا بالجهاد في سبيل الله؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ».[2]

والجهاد في سبيل الله تعالى سبب رفعة هذه الأمة وسبيل عزها بين الأمم.

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢١٥٩٢، والحاكم– كِتَابُ الْجِهَادِ، حديث رقم: ٢٤٢١، بسند صحيح

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ دَرَجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، حديث رقم: ٢٧٩٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شرف منيف، ومنزلة عالية رفيعة للمجاهدين في سبيل الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ.....﴾، وهو يبين سبحانه وتعالى ما أعده للمجاهدين في سبيله، وكل فضله وكل خير فهو منه، فلم نص على أن هذه الدرجات منه تعالى؟

سبب ذلك أمران: الأول: أن هؤلاء الذين بذلوا أرواحهم لنصرة دين الله، وبذلوا أموالهم لإعلاء كلمة الله إنما نالوا ذلك الفضل وفازوا بتلك الدرجات بفضل الله تعالى وليس ذلك بجهادهم؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ، قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللهُ بِرَحْمَةٍ».[2]

الثاني: أن تلك الدرجات لا تشبه درجات الدنيا مهما كبرت في عينك، ومهما عظمت في نفسك؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ بَلَغَ بِسَهْمٍ فَلَهُ دَرَجَةٌ. فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الدَّرَجَةُ؟ قَالَ: أَمَا أَنَّهَا لَيْسَتْ بِعَتَبَةِ أُمِّكَ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ مِائَةُ عَامٍ».[3]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ، وَأَعْلَى الْجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْجَنَّةِ».[4]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٩٦

٢ – رواه البخاري– كتاب الرقاق، بَابُ الْقَصْدِ وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الْعَمَلِ، حديث رقم: ٦٤٦٣، ومسلم– كِتَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ: لَنْ يَدْخُلَ أَحَدٌ الْجَنَّةَ بِعَمَلِهِ بَلْ بِرَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، حديث رقم: ٢٨١٦

٣ – رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٣/ ١٠٤٤)

٤ – رواه البخاري–كِتَابُ الْجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ دَرَجَاتِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ يُقَالُ هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي، حديث رقم: ٢٩٧٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ. فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَفَعَلَ، ثُمَّ قَالَ: وَأُخْرَى يُرْفَعُ بِهَا الْعَبْدُ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ. قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ».[1]

فتأمل ذلك الشرف المنيف، وتلك المنزلة العالية الرفيعة للمجاهدين في سبيل الله تعالى، مع ما أكرمهم الله تعالى من سوابق فضله، وسوابغ إنعامه، وتتابع إحسانه.

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ بَيَانِ مَا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَى لِلْمُجَاهِدِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الدَّرَجَاتِ، حديث رقم: ١٨٨٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

درجاتٌ، وأي درجاتٍ! ومغفرةٌ عظيمةٌ لا تبقي من الذنوب ولا تذر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿دَرَجَاتٍ مِنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾، لماذا ذكر الله تعالى المغفرة والرحمة بعد إنعامه على المجاهدين بالدرجات العلى؟

لما كان المجاهدون بشرًا من البشرِ يصيبون ويخطئون ولهم ذنوب وخطايا وآثام تؤرقهم، أخبر الله تعالى أن من جملة عطاياه لهم مغفرة شاملة لكل ذنوبهم، وسترٌ لسائر سيئاتهم، فلا ذكر لها ولا عتاب عليها؛ ورحمة يأمن بها سخط الله تعالى، فعَنِ الْمِقْدَامِ بْنِ مَعْدِيكَرِبَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لِلشَّهِيدِ عِنْدَ اللَّهِ سِتُّ خِصَالٍ: يَغْفِرُ لَهُ فِي أَوَّلِ دُفْعَةٍ مِنْ دَمِهِ، وَيُرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُجَارُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَيَأْمَنُ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ، وَيُحَلَّى حُلَّةَ الْإِيمَانِ، وَيُزَوَّجُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَيُشَفَّعُ فِي سَبْعِينَ إِنْسَانًا مِنْ أَقَارِبِهِ».[2]

ثم تأمل لم ذكر الله تعالى تلك الثلاثة: (دَرَجَاتٍ) وَ (مَغْفِرَةً) وَ (رَحْمَةً) غير مُعرَّفةٍ؟

والجواب: أن الله تعالى ذكر تلك الثلاثة مُنَكَّرةً لتعظيم شأنها، فهي درجاتٌ، وأي درجاتٍ!

وهي مغفرةٌ عظيمةٌ لا تبقي من الذنوب ولا تذر.

ورحمةٌ عظيمةٌ يخوض فيها أولئك المجاهدون حتى تغمرهم فيها.

ثم تأمل تذييل الآية بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾؛ لتعلم أنهم قد اجتمع لهم من أسباب الرحمة والمغفرة: الجهاد في سبيل الله، وحب الله تعالى للمغفرة، ورحمة الله تعالى التي سبقت غضبه.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٩٦

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٧١٨٢، والترمذي– أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْجِهَادِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ فِي ثَوَابِ الشَّهِيدِ، حديث رقم: ١٦٦٣، وابن ماجه–كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ فَضْلِ الشَّهَادَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، حديث رقم: ٢٧٩٩، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خطر الإقامة بين ظهراني الكفار مع العجز عن عبادة الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.[1]

تأمل ذلك الوعيد الشديد لأولئك الذين آثروا العيش في كنف الكفار، ومخالتطهم مع عجزهم عن إظهار دينهم، وتفريطهم في عبادة ربهم، حتى اعتادوا الكفر البواح، وألفوا المنكرات، واستمرؤا الذل والهوان!

وتأمل وصف الله تعالى لهم بالظلم لأنفسهم، لأنهم آثروا العاجل الزائل من متاع الدنيا على الباقي الدائم من نعيم الآخر، وآثروا رضى أعداء الله تعالى على رضى الله تعالى!

ومع حب الملائكة لأهل الإيمان واستغفارهم ودعائهم لهم إلا أنهم يلقونهم في تلك الحال بالإهانة والتقريع، والإنكار والتوبيخ، لما كانوا عليه من الرضي بالمقام بين أعداء الله، وإيثار الدنيا على عبادة الله تعالى، وترك الهجرة إلى ديار الإسلام مع تمكنها منها، وعجزهم عن عبادة الله وإظهار دينهم.

وتأمل خطاب الملائكة لهم عند احتضارهم، وبما تتلقاهم عند قبض أرواحهم لتعلم خطر الإقامة بين ظهراني الكفار مع العجز عن عبادة الله تعالى! لتعلم ما كانوا عليه من السوء وقبح الحال، وفساد الأمر.

تقول لهم الملائكة: (فِيمَ كُنْتُمْ)؛ أي: في أي نجاسة كنتم؟ كأنهم كانوا مغموسين في مستنقع للقاذورات، أو بئر للنجاسات، وقد كانوا كذلك؛ ألم يقل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا﴾.[2]

فإذا كان المسلم مخالطًا لهم يصبح ويمسي معهم، يؤاكلهم ويشاربهم ويجالسهم، ويغض الطرف عن كفرهم، وفسقهم وفجورهم، وربما شاركهم في بعض ما يقولون ويفعلون من الكفر

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَة/ ٩٧

٢ - سورة التَّوْبَةِ: الآية/ ٢٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بدافع مسايرتهم، والانخراط في مجتمعهم، وابتغاء مرضاتهم، فكيف لا يكون مغموسًا في النجاسات؟

ثم تأمل كيف كان رد الملائكة عليهم حين تعللوا بالاستضعاف في بلاد الكفر، ﴿قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾، وتعبدوا الله تعالى كما أمركم!

فهو عذر لا قيمة له عند الله تعالى؛ لأنهم آثروا العيش بين الكفار على ما فيه الذل والهوان على رضى الرحمن.

وليت الأمر وقف عند التوبيخ والتقريع، بل أعقب الله تعالى ذلك بالوعيد الشديد، والعذاب الأليم في نار جهنم: ﴿فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سعة رحمة الله تعالى بالمستضعفين من المؤمنين، وعفوه عنهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلا (٩٨) فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾.[١]

تأمل سعة رحمة الله تعالى بالمستضعفين من المؤمنين، وعفوه عنهم لعلمه تعالى بعجزهم عن الهجرة من دار الكفر وقلة حيلتهم في الفرار بدينهم!

فلا يستوي عند الله تعالى من أقام بين ظهراني الكفار راغبًا في الدنيا، مؤثرا رضى أعداء الله تعالى على رضى مولاه، كمن أقام بينهم كارها لقربهم، لا يرضى بجوارهم، ولا يقر كفرهم، ولا يشاركهم في منكراتهم.

ولا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى؛ كما قال أعلم الخلق بالله رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَأَرْسَلَ الرُّسُلَ».[٢]

وتأمل وعد الله تعالى بالعفو عنهم بقوله: ﴿فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾، حتى لا يقطعوا رجاءهم من الله تعالى، مع علمه بحالهم!

وتأمل كيف أكد الله تعالى عفوه عنهم بقوله: ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾، حتى لا يخيب ظنهم بالله تعالى!

وكيف يخيب ظن عبد بالله تعالى وقد أطمعه الله في رحمته، ووعده عفوه ومغفرته؟

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٩٧– ٩٩

٢ – رواه مسلم– كتاب التوبة، بَابُ غَيْرَةِ اللهِ تَعَالَى، وَتَحْرِيمِ الْفَوَاحِشِ، حديث رقم: ٢٧٦٠

كيف يخشى بعد ذلك الضيعة؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً....﴾؛ لتعلم أن أكثر ما يؤرق المسلم إذا هاجر بدينه من أرضه التي ولد عليها ونشأ فيها: هو أي أرض ستلائمه؟ وأي مكان سيروق له العيش فيه؟ ومن أين سيقتات؟ وماذا سيكون حاله لو مات في طريق هجرته؟

ولما كانت تلك الأمور هي همه الأكبر ضمنها الله تعالى له، فقال: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا﴾، فإذا ترك مكانا كان يألفه، وأرضًا كان يعرفها، فإن أرض الله واسعة، وفيها من الخير ما يرغم به أعداء الله الذين ضيقوا عليه في أرضه، ومنعوه أن يعبد ربه، وليس مكانا واحدًا الذي يروق له بل سيجد من ذلك كثيرًا، عوضا عما تركه لله تعالى.

ومما يؤرقه كذلك الرزق فإنه سيترك عمله وربما سيترك ماله لله تعالى، وقد ضمن الله تعالى له الرزق ووصفه بالسعة، فليس رزقًا مضيَّقًا، بل رزقًا واسعًا؛ ﴿يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾، ولم لا؟ وقد قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [سَبَأٍ: ٣٩]، فكيف بمن ترك ماله لله تعالى؟

ومما يؤرقه كذلك خوف الموت في طريق هجرته، هل يقبل الله تعالى عمله؟ وهل ستكتب له هجرته؟

يطمئن الله تعالى من كان هذا حاله بما يزيل همه، ويكشف غمه، ويريح قلبه؛ فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾،

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ١٠٠

ضمن له الأجر كاملًا موفورًا، ولا أكرم من الله تعالى، ولا أعظم أجرًا منه تعالى، ومن أوفى بعده من الله؟

ثم تأمل سعة رحمة الله تعالى في قوله: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾، ما اشترط بلوغ دار الإسلام، ولا مفارقة ديار الكفار، بل إذا بعد خروجه من بيته مهاجرًا، فقد قبل عمله، وضمن الله تعالى له أجره، فكيف يخشى بعد ذلك الضيعة؟

المحتويات

المقدمة ٢
مَنْ كان هذا حَالُهُ فأَهلٌ أَنْ يُتقى ٤
ناهيك بمن قطعه الله وطرده من رحمته، وحرم عليه جنته ٦
التدابير الإلهية لحفظ أموال اليتامى من الضياع ٨
إيقاظ عاطفة الرجل واستثارة الرحمة في قلبه ١٠
ذلك أقربُ للعدلِ والإنصافِ ١١
قَرَائِنُ طِيبِ النَّفْسِ وَرِضَاهَا ١٣
لا يحملنَّكَ الضَّجرُ من اليتيمِ، على التَّخلي عن الأمانة ١٤
هل رأيت كالإسلام في كمال تشريعه؟ ١٥
يواجهون الحياة بما تحويه من مخاطر ١٦
متى تستفيق البشرية من غفلتها وترجع إلى ربها؟ ١٧
مَدَى عنايةِ اللَّهِ تَعَالَى بالْيَتَامَى ١٨
أرأيتَ كيفَ يعالجُ اللَّهُ تَعَالَى شَرَهَ النَّفسِ؟ ١٩
حتى لا يزهد الناس في عمل الخير ٢٠
إن كانوا لا يعلمون فتلك مصيبة، وإن كانوا يعلمون فالمصيبة أعظم ٢١
أَرَادَ أَنْ يُذْهِبَ الحَسَدَ مِنْ قُلُوبِهِم، ويَكْسِرَ حِدَّةَ تَطَلُّعِهِم لِمَا فِي أَيدِي الوَرَثَةِ ٢٤
همٌّ يَقُضُّ المضَاجِعَ، وتنوءُ بحملِهِ الجِبَالُ الرَّوَاسِي ٢٥
عَرَّضَ بِذِكْرِ البُطُونِ لخستِهِم وَسُقُوطِ هِمَمِهِمْ ٢٧
أَدَلُّ على الاهتمامِ، وسرعةِ تحقيقِ المرادِ ٢٨
أفي ذلك ظلمٌ للمرأة أو هضمٌ لحقها؟ ٢٩
كلمات قليلة المبنى، غزيرة المعنى ٣١
لا يصلح للناس إلا ما شرعه رب الناس ٣٣

الزمْ حكمَ الشَّرعِ، فلا تُقدِّمْ مَنْ أخَّرَهُ اللهُ، ولا تُؤخِّرْ مَنْ قَدَّمَهُ اللهُ ٣٥
التشريعُ خاصٌ بربِ البشرِ؛ لأَنَّه فوقَ مداركِ البشرِ ٣٦
القرآن لا تتغير فصاحته بتغير ألوان خطابه..... ٣٨
جريمة نكراء ألقت بصاحبها في مهاوي الهلاك ٤٠
احتياط الشرع لحفظ النفوس وصيانة المجتمعات ٤٢
لا ذنب يتعاظمُ اللهَ تعالى أن يغفره..... ٤٤
بادرْ يا عبدَ اللهِ قبل أن تُبَادَر ٤٥
لا تحسبن التوبة كلمة تقال، أو حجرة عثرة متى شئت تقال..... ٤٦
ينادون بتحرير المرأة من ربقة الدين ٤٨
لا يخفى إلا على أعمى البصيرة ٥٠
اقترف إثمًا ظاهرًا، ونال من البهتان حظًّا وافرًا ٥٢
إذا لم يكن من الطلاقِ بدٌّ، فلابد من مراعاةِ العهدِ ٥٤
مَنْ تَزَوَّجَ بِامْرَأَةٍ يُبْغِضُ مَنْ كَانَ زَوْجَهَا قَبْلَهُ..... ٥٥
ستُقْتَلَعُ المحبةُ من جُذُورِها ويشبُّ أوارُ العداوةِ في قلبيهما..... ٥٦
إياك أن تظن أن الله تعالى ضَيَّقَ عليك واسعًا ٥٨
ليس كل رضى بين طرفين يكون مباحًا..... ٥٩
كن عالي الهمة ولا تقنع بما دون النجوم..... ٦١
لتعلم ما تتسم به الشريعة الغراء من الرحمة ٦٣
إياك أن تكون دنيء الهمةِ، ساقط العزيمة ٦٥
لأنها مصدر قوة المسلمين، وسبب رقيهم ٦٦
يريدون مَيْلًا لا استقامةَ معه، وسقوطًا لا نهوضَ بعده..... ٦٨
انظر إلى آثار رحمة الله تعالى في تشريعه..... ٧٠
أكلُ أموال الناس بالباطل مهنةٌ يمتهنها كثيرٌ من الناس ٧٢

مفهوم يجب أن يترسخ عند كل مسلم ٧٤
لولاهما لطاشت العقول وذهلت، وذابت القلوب غمًّا وذبلت ٧٦
هنا تتجلى رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين ٧٧
أقبح الناس حالًا، وشرهم عاقبةً ومآلًا ٧٩
رؤوس أموال المفاليس ٨١
احذر يا عبد الله من حقوق العباد فإن لها من الله طالبًا ٨٣
القوامة لها لوازم لا تتحقق إلا بها ٨٥
العجب ممن تدعي الصلاح، وهي لا ترعى لزوجها حرمةً، ولا تعرف له حقًّا! ٨٧
ضربك لامرأتك ليس دليلًا على رجولتك، فاتق الله فيها! ٨٩
اعلم أن الله أقدر عليك منك عليها ٩١
تَشَوُّفُ الشَّرعِ للتَّوفيقِ والإِصْلاحِ، ورَأبِ الصَّدْعِ ٩٢
أمر الله بإكرامهما غاية الإكرام، وحذر من إيذائهما ولو بأدنى كلمة ٩٣
ما أقبحَ الاستطالة بالقدرة! ٩٥
الْمُهِينُ للمَهِينِ، والجزاء من جنس العمل ٩٦
رب قولِ معروفٍ خيرٍ من صدقةٍ وإن بلغت ما بلغتِ ٩٨
قرن نفسه بالشيطان ولازمه ملازمة الظل لصاحبه ٩٩
إلى أين يا مَنْ تُعْرِضُ عن رَبِّكَ؟ ١٠٠
انظر إلى كمال عدل الله تعالى، وعظيم فضله! ١٠١
مكانة الرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عند الله تعالى ١٠٢
شرفُ العقلِ، ومنزلةُ أولي الألبابِ ١٠٣
القرآن ليس فيه كلمة نابية، ولا لفظة مستهجنة ١٠٥
أحرص الناس على الضلالة وأرغبهم فيها! ١٠٧
اهْمْ رأيك وتبرأْ مِنْ حَولِكَ ١٠٨

جرائم فاقت كل وصفٍ، وتعدت كل حدٍّ! ١٠٩
أزهد الناس في الخير، وأبعد ما يكونون عن الحقِّ ١١٠
أذلةٌ لا يرفعون رأسًا، ولا يعرفون عزًّا ١١١
أعظم افتراءٍ أنْ يُجعَلَ المخلوقُ الضعيفُ كالخالقِ القديرِ ١١٢
ماذا يفيدك مدحٌ تعلم أنه أخطأك؟ ١١٣
من كمال عدل الله تعالى مجازاة العباد بقدر أعمالهم ١١٤
عجيب شأن أولئك اليهود المجرمين! ١١٥
أحاط بهم الفساد من كل جانب، وأخذ عليهم الشيطان كل سبيل ١١٦
اجتمع لليهود من أسباب اللعن ما لم يجتمع لغيرهم ١١٧
حقيقة يجب على كل مخلوق أن يعيها جيدًا ١١٩
لا يُرجَى عند اليهود خيرٌ، ولا يُؤمَلُ منهم نفعٌ ١٢٠
مدى دناءة نفوس اليهود وقبح أخلاقهم ١٢١
كَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا ١٢٢
يا ابن آدم ماذا دهاك؟ ١٢٣
أذلك خير نزلًا أم دركات الجحيم؟ ١٢٥
خَطَرُ الْأَمَانَاتِ، وعِظَمُ شَأنِهَا عند الله تعالى ١٢٦
إذا تحقق العدل وانتشر الأمن عمَّ الرخاءُ ١٢٨
لا تقدموا أمر المخلوق على أمر الخالق ١٣٠
احذر أن تزل قدمك وأنت تطلب لعاعة من الدنيا ١٣٢
انظر إلى رقة دينه وتهافت إيمانه! ١٣٣
الشيطان لا يرضي من بني آدم إلا الإيغال في الضلالِ ١٣٥
أيحسب هؤلاء أن الإيمانَ مجردُ كلمة تلوكها الألسنُ؟ ١٣٧
لا يستفيقون من غفلتهم، ولا يرتدعون عن غيهم على كثرة نكباتهم ١٣٨

انظر كيف عاملوا الله تعالى معاملة الصبيان! ١٣٩
هل يسع أحدًا بعد ذلك أن يخالفه؟! ١٤٠
شرفُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسمو مكانته عند الله تعالى ١٤٢
الاحتكام إلى سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد وفاته كالاحتكام إليه حال حياته ١٤٤
الإيمان عندهم مجرد دعوى لا دليل عليها ١٤٦
ماذا أقول له إذا وقفت بين يديه أناجيه؟ ١٤٧
أجرٌ أعظمُ مما يخطر بالبال ويدور بالخيال ١٤٨
من تمام النعيم في الجنة مرافقة الصفوة من الخلق في الجنة ١٤٩
هل بقي لأحد بعد الله فضل أو إحسان! ١٥٠
يجب على المسلم أن يكون الحذر شعاره، والحيطة دثاره ١٥١
بعض الناس المقاييس عنده دنيوية محضة ١٥٢
تبقى في نفسه غصة وإن رجع مظفرًا منتصرًا ١٥٣
لو امتثلنا أمر ربنا لسعدنا بنشر العدل وسعد الناس أجمعين ١٥٥
أهل الإيمان لهم غايةٌ واضحةٌ من الجهاد ١٥٧
رحم الله عبدًا تأدب بآدب الشرع ١٥٨
الدنيا دار مَنْ لا دار له، ولها يجمع مَنْ لا عقل له ١٦٠
لو كان يعلم أن الموت أجل محتوم لكبح جماح نفسه ١٦٢
إذا بلغت الآجال منتهاها، فإما إلى جنة، وإما إلى نار ١٦٤
تأمل ما تنطوي عليه نفوسهم من البغض لدين الله تعالى! ١٦٦
من كمال الأدب مع الله تعالى ألا ينسب له إلا كل جميل ١٦٨
حكم الله بكفرهم، وأخبر ببغضهم، فما ظنك بحالهم عنده يوم يلقونه؟ ١٦٩
حلاوة المنطق لا تغني عن العمل ١٧٠
لا طاقة لهم بمواجهة أهل الإيمان فيعملون في الظلام ١٧٢

إنها خصيصة هذا الكتاب العظيم ١٧٣
احذر أن تعرف بما لا تعرف ١٧٥
الله تعالى فاضل بين عقول الناس كما فاضل بين أرزاقهم ١٧٧
فضل الله على عباده المؤمنين أنه عصمهم من الشيطان وحال بينه وبينهم..... ١٧٨
في كل بقعة من أرض الله جراح تنزف، ودماء تسيل ١٨٠
البخيل من يبخل بجاهه ١٨٢
جاء الإسلام فتبدلت المساوئ محاسن، والرذائل فضائل ١٨٤
أكد الله وقوع البعث ليزيل من النفس كل شك، ويكشف عنها كل شبهة..... ١٨٦
كم من مخالفة أوقعت صاحبها في غياهب الضلال..... ١٨٨
ليعلم العباد مدى افتقارهم إلى الله تعالى ١٩٠
غيض من فيض، وقليل من كثير، ونقطة من بحر عداوة الكفار للمسلمين ١٩٢
من أعظم الآثام إقامة المسلم بين ظهراني الكفار مع عجزه عن عبادة ربه وإظهار دينه.. ١٩٤
أعظم ورطة يمكن أن يقع فيها أحدٌ..... ١٩٦
لأن يلقى المسلمُ ربَّه بكل ذنبٍ أهونُ من أن يلقاه قاتلًا..... ١٩٨
كم من أرحام قطعت لقولٍ قيل لم يتبين مرادُ قائله!..... ٢٠٠
طلب الرفعة بالحط من قدر الغير ٢٠٢
لا تحتقر فقيرًا لفقره ولا جاهلًا لجهله فكذلك كنت فَمَنَّ الله عليك..... ٢٠٣
سبب رفعة هذه الأمة وسبيل عزها بين الأمم ٢٠٥
شرف منيف، ومنزلة عالية رفيعة للمجاهدين في سبيل الله تعالى..... ٢٠٧
درجاتٌ، وأي درجاتٍ! ومغفرةٌ عظيمةٌ لا تبقي من الذنوب ولا تذر..... ٢٠٩
خطر الإقامة بين ظهراني الكفار مع العجز عن عبادة الله تعالى ٢١٠
سعة رحمة الله تعالى بالمستضعفين من المؤمنين، وعفوه عنهم..... ٢١٢
كيف يخشى بعد ذلك الضيعة؟..... ٢١٣

المحتويات ٢١٥